41

في 23 كانون الأول/ديسمبر 2005 أقر صندوق النقد الدولي مبلغ 685 مليوناً من الدولارات للعراق. لم يكن حسم الصندوق بأن سعر الصرف العراقي بات مستقراً، معدل التضخم منخفضاً، وتيرة النمو الاقتصادي مقدرة بنحو 6.2 بالمئة، والصورة الإجمالية لأفق التنمية "إيجابياً"، أقل أهمية من المال نفسه. كان ذلك خبراً عظيماً، رغم أن الصندوق اشترط على العراق الوصول إلى نقاط علام معينة على صعيد الدخل الإجمالي وأمور أخرى.

ومع ذلك فإن بوش ومجلس الأمن القومي واجها، في كانون الثاني/يناير 2006، أزمة جديدة. صادرات النفط العراقية، عصب حياة السيولة النقدية للبلد، شهدت هبوطاً بنسبة 20 بالمئة مقارنة مع ما كانت عليه قبل عام واحد. وكان الهبوط يعني أن الحومة العراقية باتت معرضة لفقدان نحو 2 إلى 3 مليارات دولار دخل في الربع الأول، حتى مع الأسعار المتصاعدة. وكان من شأن النقض أن يتمخض مباشرة عن زعزعة مكانة العراق لدى الصندوق، وصولاً ربما إلى سلسلة من ردود الأفعال.

في جهاز العاملين لدى مجلس الأمن القومي، عكفت ميغان أو سليفان على معاينة الأرقام بالتفصيل. بدت شديدة السوء إلى درجة كان من شأنها بأن تُعرِّض صلاحية الحكومة للبقاء بالذات للمساءلة. لم يكن الأمر يقف عند فقدان العراق للدخل المترتب على النفط الذي كان يصدِّره، بل وبات الآن مضطراً لاستيراد الوقود للتعويض عن النقص. بدا الوضع أشبه باستيراد الرمل إلى الصحراء. كان النفط هو محصول العراق النقدي - التجاري، ولكن هجمات المتمردين واهتراء البنية التحتية أديا إلى وضع البلد على حافة دورة اقتصادية سلبية إلى درجة غير قابلة للتصديق. وعلى الرغم من كل الكلام عن "نقاط انعطاف، سابقة" فإن البلد كان على حافة هاوية حقيقية. كان من شأن كل شيء أن ينهار.

التقت أوسليفان فريق توجيه العراق، ثم حذا أعضاء اللجنة حذوها. أخيراً بادر آندي كارد إلى الالتحاق بركب النقاش في أحد اجتماعات الرؤساء (الوزراء أو المدراء).

أسباب انهيار الصادرات النفطية اشتملت على الصيانة المتفاوتة في المصافي، الطقس السيئ في الجنوب، الطاقة التخزينية غير الكافية، هجمات المتمردين والشبكات الإجرامية في داخل الوزارات العراقية.

جادل رمسفلد مؤكداً ضرورة اضطلاع العراقيين الفعلي بالمسؤولية. إذا حَمَّتا العبءَ نيابة عنهم، فإنهم سيدفعوننا، مرة أخرى، إلى توسيع نطاق المهمة. كانت الخطة تقضي بتحميل العراقيين قدراً أكبر من المسؤولية. من قال إن الجيش الأمريكي قادر على حماية آلاف الأميال من خطوط أنابيب النفط؟

عارضت رايس. زعمت أن جزءاً أساسياً من إستراتيجيتنا القائمة على محاربة المتمردين ينطوي على توفير الحماية لشريان حياة العراق الاقتصاد - لتدفق النفط. وقد فعل الأمر فعله في الكهرباء. كثيراً ما باتت بغداد تعاني من تقلص ساعات توفر الكهرباء اثنتين أو ثلاثاً يومياً.

ثمة كان الفساد أيضاً. كان النفط يتعرض للسرقة. كانت وزارة النفط العراقية تدفع أضعاف الأسعار الحقيقية للمضخات وغيرها من المعدات النفطية، وكان الفَرْق يذهب إلى الجيوب الخاصة. يضاف إلى هذا كله سيل هجمات المتمردين المستهدفة لخطوط الأنابيب والمرافق النفطية الأخرى، زائداً الوضع البائس للبنية التحتية بأنابيبنا المهترئة ومضخاتها المعطوبة؛ يا له من مأزق حقيقي!. أقله في إحدى الحالات بدا وكأن العراقيين المكلفين بحراسة أحد خطوط الأنابيب كانوا هم أنفسهم قد هاجموه و سمحوا بمهاجمته، سعياً إلى الحصول على عقد أدسم لحمايته.

قال اللفتنانت جنرال جين رينوار، وهو الآن مدير قسم التخطيط في هيئة الأركان المشتركة: "إن الفساد هو العلة الكامنة وراء الخلل في خطوط الكهرباء ومحطات الطاقة. إنه المشكلة. ثمة طوفان من الفساد!"

تشددت رايس قائلة: "تعلمون أن ذلك البلد عاش الفساد منذ آلاف السنين. وقد يعيشه لآلاف أخرى من السنين. أنا لا أستطيع إصلاح الفساد ولكنك تستطيع أنت أن تصلح هذا الوضع الأمني".

ساد صمت كصمت القبور. باتت المسألة مطروحة على الطاولة. أين هو الأمن؟ أي نوع من البلاد كنا دائبين على تركيبه؟

كان الجيش مندفعاً بقوة في عمليات الإغارة على مخابئ المتمردين ومواقعهم المحصنة وكان عدد محتجزيه قد بلغ 15.000. ناقش الرؤساء ما إذا كانت حملات الإغارة تحقق شيئاً ملموساً في الوقع. لم يتم التوصل إلى أي نتيجة بعد جدل دام طويلاً.

صُعق كارد بالتوتر بين رايس ورمسفلد. لم يكن جديداً غير أنه بدا أكثر حدة. كان كارد ميالاً إلى الاتفاق مع رايس. نعم، كان لابد لهم من إحالة أكبر قدر ممكن من اتهمات على العراقيين، غير أنهم لم يكونوا يستطيعون تعريض شريان الحياة الاقتصادي للبلد لمزيد من الخطر. لم يكن تبديد المورد النفطي ممكناً.

وكما هي العادة على الدوام، انعطف مسار الجدل نحو الأسئلة المعلقة أبدياً: ما دور الولايات المتحدة هنا؟ إلى أي مدى نترك الأمر للعراقيين؟ إلى أي مدى نمد يد المساعدة إلى العراقيين؟ إلى أي مدى نحن مسؤولون عن الوضع؟ لم يكن الرئيس قد أقدم قط على اتخاذ أي قرار، على الرغم من أن السجال كان قد دام محموماً على امتداد ثلاث سنوات. ما الأنموذج الصالح للعراق ومهمة الولايات المتحدة؟ هل هو أنموذج وَلَد هادلي الذي تعرض لسوء المعاملة؟ أم أنه أنموذج رمسفلد الداروينى، الأمريكي التعاوني الذي يتيح للعراقيين فرصة الإخفاق؟ هل ينبغي لوجهة نظر رايس الوسطية أن تسود؟ هل ثمة أي إستراتيجية؟

حضر بوش اجتماعاً لمجلس الأمن القومي حول قضايا تصدير النفط العراقي. مرة أخرى جادل رمسفلد قائلاً إن هذا الأمر يخص العراقيين. يستطيعون توليه. يكفي أن نقول لهم: هيا، بادروا. غير أنه لم يكن ثمة أي تدريب أمني متخصص بالنسبة إلى خطوط الأنابيب والبنى التحتية النفطية الأخرى، مما قد يؤدي إلى انقضاء عدد من الأشهر قبل أن يصبح العراقيون في وضع يمكّنهم من التحكم بأمن البنى التحتية.

اعترضت رايس متذرعة بعدم توفر أي وقت للتردد والمماحكة. فالأمن قضية بالغة الحيوية بالنسبة إلى جميع الجهود المبذولة في العراق مما يفرض بالضرورة جزءاً صريحاً وواضحاً من مهمة أمريكا العسكرية.

فيما بعد عبر بوش عن خيبته لكارد بشأن جره إلى الغرق في تفاصيل هذه القضية.

كان رمسفلد موافقاً الرئيس مئة بالمئة. قال لكارد: "هذه ليست رئاسية. لا يجوز لكم أن تبددوا كل هذا الوقت على هذا الأمر. نستطيع أن نجد له حلاً".

بقيت رايس مصرة. كانت متوغلة في أعماق المسألة، وراغبة في جر الرئيس إلى صفها. إلى حيث ينتمي. علاوة، كان من شأن عزوف بوش عن التدخل أن يوفر لرمسفلد شيكاً مفتوحاً.

حضر الرئيس اجتماعاً آخر لمجلس الأمن القومي، اجتماع اطلاع على أمن البنية التحتية النفطية في العراق ضم كلاً من الجنرال كيسي وخليلزاد. في الختام خاطب الرئيس خليلزاد وعبر شاشة الفيديو قائلاً: "اسمع، علينا جميعاً أن نتفق بأن هذا غير مقبول. نقطة على السطر".

ذلك كان الجزء الوحيد الذي وافق عليه الجميع.

تابع الرئيس كلامه: "أريد منك يا زال أن تبتكر خطة لمساعدة العراقيين على حل هذه المسألة. أنا لا أعرف الإجابات الصحيحة، إلا أنني أريدك أن تفكر على نحو مختلف. لا بد لنا من حل هذه المسألة".

تعهد خليلزاد والجنرال كيسي بتحمل مسؤولية أي خطة جديدة.

سارع هادلي وأوسليفان إلى أخذ توجيهات الرئيس مأخذ الجد. أرادا أن "يفكرا على نحو مختلف" أيضاً. ما كانا عاكفين على القيام به لم يكن ناجحاً. ولكن عدم النجاح هذا كان قد دام ثلاث سنوات، ولم يكن ثمة أي حظر على التفكير الخلاق. بدلاً من ذلك، كان الجميع في هذه اللحظة، في شباط/فبراير 2006 داخلين في إطار أزمة.

تم عقد سلسلة من المؤتمرات الفيديوية لتمكين هادلي من التحدث مطولاً مع بغداد - مع السفارة وقيادة الجنرال كيسي. غاص في بحر من التفاصيل، بالغ في التعمق، وتمادى في استجرار سيل من المعلومات إلى درجة أن المؤتمرات كثيراً ما لم تكن مع كيسي وخليلزاد بل معاونيهما. ما لبث مستشار الأمن القومي أن أصبح، عملياً، مدير البعثة المسؤولة عن حصص إنتاج النفط العراقي.

رأى كارد مدى حراجة اضطرار هادلي للجَسْر بين وجهات نظر رايس ورمسفلد. لم يكن واثقاً من قدرة هادلي على النجاح. بعد أسابيع من العمل خرج الأخير بخطة بدت، أقله على الورق، متناغماً مع الأجزاء الرئيسة الستة. جاء الجزء الأخير اقتراحاً لإيجاد عناصر إصلاح سريع قادرين على المبادرة بسرعة إلى إصلاح أي أذى يلحقه المتمردون، وهي فكرة سبق لحكومة كولومبيا أن اعتمدتها في حربها ضد متمردي منظمة الفارك (FARC).

كفت وحدات الإصلاح هذه ستحمل اسم كتائب البنية التحتية الاستراتيجية وستكون مؤلفة، بأكثريتها، من قوات ذات قواعد عشائرية وقبلية قريبة من خطوط الأنابيب. وظراً لوجود بعض المؤشرات الدالة على أن هذه الكتائب كانت متواطئة مع الذين قاموا بشن الهجمات، فإن من شأن عمليات إعادة تدريب وتأهيل ورعاية جديدة كاملة أن تكون مطلوبة. يضاف إلى ذلك أن من شأن القوات الأمريكية والقوات العراقية النظامية أن تكون متمركزة بين، أو متشاركة مع، وحدات عشائرية لمضاعفة فعاليتها ومواصلة مراقبتها.

اشتملت العناصر الأخرى على: تدعيم الأنابيب مادياً، توفير المرونة والفوائض في خطوط الأنابيب، بما في ذلك بعض خطوط الأنابيب الثانوية المجارية للخط الرئيس؛ العمل على استئصال الفساد من وزارتي النفط والكهرباء؛ وتحسين تنسيق العمليات الاستخباراتية. كان سيتم طلب 250 مليوناً من الدولارات في الموازنة التكميلية لتوفير التمويل اللازم لكل هذه الأشياء.

طلب هادلي اطلاع رايس ورمسفلد كلٌّ على حدة. قدمت الخطة بوصفها استراتيجية كاملة التنسيق، كاملة الانسجام، كاملة الرعاية، متعددة التشعبات لمساعدة العراقيين على معالجة مشكلتهم، كما وصفها أحد الرسميين.

بدا رمسفلد مقتنعاً لأن الخطة تضمنت مساعدة العراقيين على اجتراح حل عراقي. "نحن لا نستطيع أن نحلها لهم" وإن كنا نستطيع مساعدتهم على حلها".

بعد نحو ثلاث سنوات من الغزو، وسنتين بعد نقل السيادة، بادرت الإدارة إلى مقاربة القضايا نفسها.

كان الجنرال تشيارلي، الذي كان قائداً لفرقة الفرسان الأولى في الجيش عام 2004-2005 والذي سبق له أن ترك انطباعاً إيجابياً لدى مستشار وزيرة الخارجية رايس، فيليب زليكوف، قد أصبح أكبر العسكريين المؤيدين لفكرة تقليص استخدام الحرب الحركية أو القسرية المزعومة المعتمدة على العتاد العسكري أو على قوات مدججة بالأسلحة حتى الأسنان.

ففي مقال له صيف 2005 بمجلة ميليتاري ريفيو، وهي مجلة بحثية عائدة للقوات المسلحة، قال تشيارلي إنه واظب خلال ثلاثة عقود في الجيش على تدريب وحدات

مشاة ومدرعات كبيرة على المناورة بحثاً عن "نقطة الاختراق" في صفوف العدو. وقيل إن "نقطة الاختراق" في عراق اليوم، كانت متمثلة بإصلاح تمديدات صحية، بناء مدرسة أو الإشراف على انتخابات ديمقراطية. تصوَّرَ وجوداً ألطف، أنعم، قدراً أقل من القتل والاعتقال للعراقيين، عدداً أقل من الأبواب المخلوعة رَكْلاً. أحياناً بدا جنوده أشبه بعناصر فرق السلام.

حصل تشيارلي على نجمته الثالثة وعين في كانون الثاني/يناير 2006 قائداً لجمع القوات البرية الأمريكية في العراق. كان يجادل بإقناع أن للعراق ثقافة قائمة على الثأر والشرف. وعمليات القتل الصارخ بل وحتى اعتقال متمردين مشبوهين أو فعليين كانت قد أثارت حفيظة العراقيين الذين ما لبثوا أن التحقوا بصفوف المتمردين أو دعموهم. "إن الناس هم الغنيمة" كما قال توماس إي ريكس، زميل من البوست سبق له أن درس موضوع الجيش ومحاربة حركة التمرد، في كتابه إخفاق تام. بدا الجيش الأمريكي موشكاً على إدراك تلك الحقيقة، أقله على الورق.

صباح يوم الأربعاء الواقع في 22 شباط/فبراير 2006 تمخضت المتفجرات عن تسوية القبة الذهبية لمسجد الإمام العسكري في سامراء الواقعة على مسافة نحو 63 ميلاً شمال بغداد، مع الأرض وعن تحويلها إلى ركام. كان الهجوم على أحد أقدس المزارات الشيعية قد خُطِّط بعناية. سارعت الميليشيات الشيعية، ولاسيما تلك المتحالفة مع مقتدى الصدر إلى التدفق على الشوارع وراحت تلقي القنابل اليدوية وتطلق أعيرة المدافع الرشاشة على ما لا يقل عن اثني عشر جامعاً سنياً في بغداد. ثلاثة من أئمة السنة قُتلوا ورابع تعرض للاختطاف. عشرات الآلاف شاركوا في أعمال الشغب. جرى فرض حظر تجول نهاري في بغداد. بادر رئيس الوزراء الجعفري إلى شجب أعمال العنف ولكنه لم ينتقد مقتدى، الذي كان أحد أوائل مؤيديه، على الملأ.

دعا بوش إلى الهدوء.

أشارت المعلومات الاستخباراتية إلى مسؤولية الزرقاوي. وُوجه الجنرال كيسي بمشكلة إضافية. أراد رمسفلد وضع قائمة بأخطاء محتملة ربما وقعت، وكان كيسي، بمساعدة السفارة، قد وضع قائمة سلسلة من الحوادث الكارثية المحتملة. اشتملت القائمة غزواً من جانب إيران أو سورية، قطعاً لصادرات النفط، واغتيال السيستاني. كانت القائمة تضم عدداً من المزارات الدينية وإن لم يكن جامع الإمام العسكري بينها.

يعني ذلك أن الجامع لم يكن محروساً. كاد التفجير أن يشكل نقطة طلاق بالنسبة إلى الشيعة وقائدهم الروحي البارز السيستاني. رأت رايس أن من المتعذر على العراق أن يتحمل هجوماً آخر مشابهاً.

بنظر كارد، أعادت الحادثة إثارة السؤال الرمسفلدي من جديد. لم يكن واضحاً إلى أي مدى كانت وزارة الدفاع قد خططت لتوفير الحماية ضد العنف الطائفي وهذه الحادثة كانت قصة عنف طائفي كلاسيكية. بدا العراق على حافة حرب أهلية.

في آذار/مارس 2006 قام رمسفلد بدعوة ستة من مستشاري البنتاغون الخارجيين للاستماع إلى خلاصة موجزة للجنرال ريتشارد ايه كودي، نائب رئيس أركان الجيش العائد لتوه من العراق. وبعد الإيجاز كان الستة سيلتقون رمسفلد. بين الستة كان كل من كن آدلمان الذي كانت علاقته مع رمسفلد شبه منتهية، وجيمس دوبنز من راند (RAND).

سأل آدلمان كودي، الذي هو خريج وست بوينت عام 1972 عملاق ومعلم طيران في سجله 5.000 ساعة تحليق، عما كانوا عاكفين على رَوْزه للوقوف على حقيقة مسار الحرب قائلاً: "ما هي المعايير التي يمكنك أن تقول بعد العودة أنك كنت بحاجة إلى التعرف عليها لنتمكن من معرفة ما إذا كنا رابحين أم خاسرين؟".

و"أكاد أقول ثلاثة معايير" أجاب كودي. "المعيار الأول هو عدد المدنيين العراقيين الذين قتلهم هؤلاء المتمردون. المعيار الثاني هو نُتَف المعلومات المفيدة، المهمة التي نحصل عليها من عراقيين - معلومات استخباراتية قابلة للتوظيف. والمعيار الثالث هو عدد أفراد الشرطة والجيش العراقيين الأكفاء". بقي بعيداً عن إحصاءات الجثث وأعداد الهجمات المعادية.

بعد قليل، دخل رمسفلد. قال: "لنتلقَ بعض الأسئلة".

سأله آدلمان السؤال نفسه الذي كان قد طرحه على كودي "ما هي المعايير التي تميل إلى استخدامها لروز النجاح في العراق؟ على صعيد كسب الحرب كما تعلم؟"

"ثمة المئات أقول لك" أجاب رمسفلد. "إن الأمر بالغ التعقيد لا لشيء إلا لأن المعايير بالمئات". ألح دوبنز على رمسفلد بشأن عدد الإصابات المدنية العراقية.

أفاد رمسفلد بأنه لم يكن يرى أي أهمية للأعداد، وأضاف: "ليس البلد في حرب أهلية. لو كان لكان ثمة أعداد كبيرة من اللاجئين".

اقتبس دوبنز من تصريح الرئيس أن 30.000 عراقي قضوا في السنوات الثلاث الأخيرة. بدا الرقم كما لو كان دقيقاً استناداً إلى الأعداد السرية المصنفة التي سبق لهم جميعاً أن اطلعوا عليها. كان ذلك يعني نحو 200 أسبوعياً.

"إذا سلمنا بأن العراق أصغر من الولايات المتحدة بـ 15 مرة، فإن العراقيين تكبدوا أسبوعياً ما يوازي ضحايا هجمات 9/11 على امتداد ثلاث سنوات، قال دوبنز. "يمكنكم تصور التأثير المؤلم لهجوم 9/11، متكرر أسبوعاً بعد أسبوع، أن يحدثه في المجتمع الأمريكي. ألا تعتقدون أن للأمر تأثيراً مشابهاً في المجتمع العراقي؟"

سارع رمسفلد إلى الاحتجاج على الفكرة.

اعترض آدلمان بإصرار: "انتظر دقيقة. دأب أحد رؤسائي السابقين على تقديم نصيحة: "تعرف على ثلاثة أو أربعة أمور، ثم بادر إلى طرح أسئلتك، احصل على المعايير إذا أردت تحقيق التقدم، وإلا فلن يكون أي تقدم من نصيبك"". كان الرئيس السابق هو رمسفلد نفسه، الذي كان قد لقن آدلمان الفكرة قبل 35 سنة، حين كان الأخير يعمل مع رمسفلد في مكتب الفرصة الاقتصادية. ما هي تلك المعايير؟ طلب آدلمان بإلحاح.

أفاد رمسفلد بأن الأمر شديد التعقيد إلى درجة لا يستطيع معها أن يقدم قائمة

اعتقد آدلمان أن ذلك كان يعني افتقاراً كلياً للمحاسبة. إذا لم يكن رمسفلد مستعداً للموافقة على معايير معينة، فلا يمكن الزعم بأنه أخفق وفقاً لهذه المعايير.

"ثمة المئات" بقي رمسفلد مصراً.

قال آدلمان: "ذلك يعني أن ليس لديك أي شيء". غادر شديد الانزعاج. لا محاسبة حين كان معاون رمسفلد المدني في إدارة فورد، بقي كل ما كان مطلوباً من رمسفلد ن يفعله ليكون وزيراً عظيماً للدفاع متمثلاً بالشكوى من كيسنجر والدس عليه. ما ليث ذلك أن بات اختصاصه جنباً إلى جنب مع تعنيف الاتحاد السوفييتي ووضع حد لاتفاقية سالت 2 للحد من الأسلحة الاستراتيجية.

كانت مهمة رمسفلد الآن، برأي آدلمان، ذات معنى استراتيجي وتاريخي أعظم. ما من أحد كان سيتذكر أياً من البنتاغون، رمسفلد وبوش - بله العصر الذي يعيشون فيه بالذات - إلا بالارتباط مع كسب الحرب العراقية أو خسارتها.

تولى الرئيس مهمة رصد جهود خليلزاد الرامية إلى تشكيل حكومة جديدة. كانت العملية بطيئة وشاقة. ظل بوش يذكّر سفيره بالإحباط الهائل السائد في الولايات المتحدة. قال لخليلزاد إن الناس تواقون لرؤية حصول تقدم في العراق، وكان من الصعب الحديث عن أي تقدم في ظل هذا الفيض من الجدل السياسي حول هذه الحكومة الجديدة.

بدأ الإيرانيون يعلنون صراحة وبقوة أن الجعفري هو مرشحهم. وبالنسبة إلى واشنطن كان الدعم الإيراني للجعفري سبباً كافياً لبيعه بأبخس الأثمان. يضاف إلى ذلك، أن أحداً في مجلس الأمن القومي لم يكن قادراً على تذكر مرة واحدة اتخذ فيها الجعفري موقفاً حاسماً حول أي شيء.

علاوة، كان مقتدى الصدر، الذي كان قد دعمه في مرحلة مبكرة من العملية هو عكازة الجعفري.

راحت خيبة بوش تغلي. كرر لازمته على مسامع كارد: "أين هو القائد؟ أين هو جوح واشنطن؟ أين هو توماس جفرسون؟ أين هو جون آدامز، ليصرخ بأعلى صوته؟ لم يكن متوفراً ولو على الحدود الدنيا من الشخصية".

استعادياً، تمنى بوش لو كانوا وسعوا دائرة بحثهم وصولاً إلى قادة المحافظات بل وحتى العشائر والقبائل بحثاً عن أي توماس جفرسون محتمل هنالك أو هناك. بات الآن واضحاً أن جل القيادات العراقية التي كانت قد احتضنت الغزو لم تكن عراقية بقدر ما كانت جموع عراقية منفية مقيمة في أوربا والولايات المتحدة. "أين هي قصص النجاح السياسي القاعدية؟" ظل كارد يتساءل.

أواخر آذار/مارس، بعث الرئيس بوش سراً رسالة شخصية إلى آية الله السيستاني – وهي رسالته المباشرة الأولى إلى زعيم شيعي. دون أن يشير شخصياً إلى الجعفري، بيّن بوش أن الولايات المتحدة كانت راغبة في التعاون مع شخص متمتع بدعم جميع العراقيين. لم يكن الوضع الراهن ملبياً لذلك الشرط. أضاف بوش أن الولايات المتحدة راغبة في التعاون مع السيستاني المضطلع بدور عظيم على صعيد التهدئة. عادة كانت الرسائل الرئاسية تُكتب بالانجليزية فقط، مع ترك أمر الترجمة للجهة المتلقية، غير أن البيت الأبيض حرصت هذه المرة على ترجمة الرسالة وإرسال النسخة الأصلية باللغة العربية منعاً لأي غموض أو التباس وتعبيراً عن الاحترام. جاء الرد مؤكداً أن السيستاني قدّر الرسالة وما تضمنتها من عواطف.

انطلاقاً من رد فعل السيستاني، استنتج هادلي ورايس أن إيران قد بالغت في التدخل إذ أصرت على دعم الجعفري.

يوم الأربعاء، يوم 8 آذار/مارس، قبل الساعة السابعة صباحاً، مشى كارد الخطوات الـ 35 من مكتبه في زاوية الجناح الغربي إلى المكتب البيضوي لخوض ما وعد بأن يكون أحد أصعب حوارات حياته. كان عازماً على إعفاء نفسه من وظيفته.

حال رئاسة بوش لم تكن بخير. العراق كان مأزقاً حقيقياً. وضع الرئيس السياسي كان متدهوراً، مع انحدار معدل شعبيته إلى مادون الـ 40 بالمئة، ومتواصل الغوص. قبل سبعة عشر أسبوعاً، خلال نهاية الأسبوع التي أعقبت إعادة انتخاب بوش، كان كارد قد ضغط بنجاح في سبيل إحداث المزيد من التغييرات في المناصب الإدارية والوزارية، بما في ذلك عرضه الخاص للاستقالة. منذ ذلك الحين كان قد حرص على البقاء متركزاً على إقناع الرئيس بتغيير رمسفلد – مهمة أخرى أخفق فيها.

كانت الفترة الثانية زاخرة بالنكسات. خطة إصلاح ضمان اجتماعي لم تكن حتى خرجت من الأدراج. إعصار كاترينا كان قد دمر نيو أورليانز ومعالجة الرئيس للأزمة كانت قد أصبحت صورة مجسدة للضياع والتخبط. تعين سحب ترشيح مستشارة البيت الأبيض هارييت ميرز للمحكمة العليا حين تمرد المحافظون. كان سكوتر ليبي قد تمت إدانته بجريمة الحنث باليمين في أثناء التحقيق في قضية التسرب الحاصل في معلومات وكالة الاستخبارات المركزية.

وقبل ذلك بشهر واحد كان تشيني في بقعة الضوء بعد أن أطلق النار خطأ على أحد الأصدقاء في وجهه خلال رحلة صيد في تكساس، في تصرف طائش أدى إلى إبراز نائب الرئيس وبيده بندقية الصيد على غلافي مجلتي **التايم** و **النيوزويك**. كذلك قام البيت الأبيض بإرباك ملفات التفسير والتخطيط ذات العلاقة بصفقة ملتبسة لتكليف شركة إماراتية بإدارة عدد من الموانئ الأمريكية. لعل النقطة المضيئة الفعلية الوحيدة بالنسبة إلى بوش كانت تثبيت اثنين من مرشحيه المحافظين لعضوية المحكمة العليا فأخذا مقعديهما: رئيس القضاة جون روبرتس والقاضي صامويل آليتو.

في حديثهما وحدهما في المكتب البيضوي ذلك الصباح قال كارد للرئيس: "قرع الطبول المطالب بالتغيير لن يتلاشى وعليك ألا تخاف التغيير". فتراكم المشكلات لابد له من تحرك رئاسي ملموس، حاسم.

رد الرئيس: "لا، ذلك غباء. ليست تلك هي الطريقة المناسبة".

علق كارد: "حسنا، عليك أن تفكر بالأمر. أنت مدين لنفسك بالتفكير بالأمر". ثمة تعديل واسع في الملاك بات شبه مطلوب الآن. "ليس هناك سوى خمسة أشخاص وصف تستطيع تغييرهم وتكسب ثناء. إنهم دون رمسفلد، كارل روف، آندي كارد، كيندي رايس، دون بارتلت". لم يكن الرئيس مرشحاً للحصول على الكثير من الثناء مقابل تغيير بارتلت لأن أكثر الناس لم يكونوا يعرفونه. "ومن المحتمل أن تحصل على نصف ثناء إذا غيرت جون سنو". كان سنو هذا وزير الخزانة الذي نال قسطاً وافراً من العروض الفاترة في جل الأمكنة. "لن تحصل على أي ثناء كامل مقابل تغييره هو؛ قد تحصل على شيء منه إذا ما عينت أحدهم بدلاً منه.

"أما كارل فقد لا تستطيع المساس به" قال كارد. كان روف خاضعاً للاستجواب جراء حديث أجراه مع أحد مراسلي مجلة تايم حول قضية تسريب معلومات من وكالة الاستخبارات المركزية، ولم يكن أحد يعرف ما إذا كان سيدان. "ثمة سحابة فوقه" تابع كرد "ولأنني لا أعرف ما إذا كانت الشمس ستسطع، كما لا أعرف ما إذا الأمطار ستهمر" فإنك قد لا تستطيع تغيير كارل.

"أما مسألة تغيير وزير الدفاع فتلك حزمة مختلفة من الأسئلة". كلاهما كانا واقفين على جهود كارد على هذه الجبهة. "لا تستطيع تغيير كوندي. إنها النجمة في الإدارة". ولكنه أضاف "تستطيع أن تغيرني". تحدث بحزن. "وليس ثمة أي جلسة استماع في مجلس الشيوخ. يمكن للتغيير أن يتم بين عشية وضحاها. ليس ثمة تثبيت. ود ن بارتلت مستشار يساوي وزنه ذهباً ومن الممكن أن تحصل على أي قدر من الثناء مقابل تغييره. ومسألة سنو هي هي" غير أنها لن تمثل تغييراً حقيقاً". من شأن تغيير رئيس جهاز العاملين في البيت الأبيض أن يكون تغييراً حقيقياً.

"لا، إنه سخف، عبث. لا" قال بوش صارفاً رئيس جهاز العاملين لديه. غادر إلى نيو أورليانز للقيام برحلته الـ 10 منذ كاترينا.

بعد يومين، يوم الجمعة، 10 آذار/مارس، دخل كارد على بوش مرة أخرى: "هل فكرت بالأمر، لأنه الشيء الصحيح؟" أزاحه بوش بيده ثانية.

بعد ظهر ذلك اليوم تحدثت مجلة سليت على الخط عن أن كلود ايه آلن، الذي كان كبير مستشاري بوش في السياسة الداخلية إلى أن استقال الشهر الماضي، كان قد

أوقفته الشرطة في ضواحي ميريلاند ووجهت إليه تهمة غريبة حول ابتزاز ما يزيد على 5.000 دولار من بعض المخازن المحلية.

اتصل بوش بكارد في البيت نحو الساعة 30:9 مساء، ساعة متأخرة بالنسبة إلى الرئيس. أراد شرحاً تفصيلياً عما كان قد حصل لآلن البالغ 45 سنة من العمر، أحد المفضلين في الجهاز، محام ومسيحي وُلد من جديد. كان آلن أعلى مستشار بيت أبيض من ذوي الأصول الإفريقية، ودرج على تقديم التقارير الموجزة إلى الرئيس والسفر معه بانتظام. قال كارد إن آلن لدى استقالته قبل شهر كان قد قال لكل من كارد وهاريت ميرز إن هناك نوعاً من سوء الفهم. قال بوش إن البيت الأبيض كان، برأيه، قد تصرف التصرف السليم، عالج الأمر بطريقة صحيحة، ولكنه بقي متسائلاً حول اعتقال أحد كبار موظفي البيت الأبيض دون معرفة رئيس جهاز العاملين.

"معك حق، سيادة الرئيس، إذا كان هذا مزعجاً بالنسبة إليك، فإن الساعة المثالية قد دقت لإلقاء اللوم كله علي أنا. ارمه على كاهلي أنا فقط. إنه لكذلك. تمام مئة بالمئة".

"لا، ليس..". بقي بوش عازفاً حتى عن إتمام جملته. لم يكن الموضوع قابلاً للنقاش.

في اليوم التالي، يوم السبت الـ 11، ذهب كارد إلى البيت الأبيض باكراً. كان بوش قد تلقى تقريره الاستخبارتي، وقابل بعد ذلك كلاً من رمسفلد والجنرال مونتغمري س مايفس، مدير برنامج بقيمة 3.3 ملياراً من الدولارات عائد لوزارة الدفاع لإلحاق الهزيمة بالمتفجرات المحلية المتقدمة الجديدة والمتزايدة الفتك في العراق. عناصر المتفجرات تلك وعمليات التدريب على إعدادها كانت قد أشارت على نحو متزايد الوضوح إلى أنها كانت آتية من إيران، أحد المنعطفات الأشد إثارة للقلق في مسار الحرب.

فيما بعد، تحادث بوش وكارد مرة أخرى. أفاد الرئيس بأنه منزعج من حديث الليلة السابقة حول كلود آلن ومنزعج من تعليق كارد.

"لا تقلق بشأن ذلك" رد كارد. "غير أن هذا هو دور رئيس جهاز العاملين، جدياً. إذا لم يتم تناول هذا بالطريقة التي يراها العالم كله ضرورية، فإن تلك مسؤولية رئيس جهاز العاملين. وبالتالي مناسبة تماماً".

تلك الليلة حضر بوش وكارد حفل عشاء الغريديرون. وفي خطابه الساخر، أطلق بوش مزحة أن وسائل الإعلام كانت قد بالغت كثيراً في تضخيم حادث الصيد الذي تعرض له تشيني. "من المثير للدهشة أنكم ظننتم أنه أطلق النار على أحد أو شيء".

◎ ◎ ◎

بعد يومين، في 13 آذار/ مارس، كان كارد وحده مع الرئيس مرة جديدة. سأل كارد: "هل فكرت بهذا الأمر؟"

رد الرئيس: "آخ...ليتني أعرف ماذا أفعل".

قال كارد: "ما زالت الطبول تُقرع هناك".

"هل هناك أي جديد عن كارل؟" سأل بوش بصبر نافذ.

لم يكن ثمة أي جديد. لأسباب عملية وحقوقية لم يستطيعوا اكتشاف أي شيء ذي شأن. كانت ثمة أسئلة لا يستطيع أحد في البيت الأبيض أو في الإدارة أن يطرحها بطريقة مناسبة على المدعي العام، على وزارة العدل، أو حتى على روف. في 15 آذار/مارس، واصل كارد ضغطه.

"هل فكرت بالأمر؟"

"نعم، لقد فكرت به" أجاب الرئيس "ماذا تظن؟"

"حسناً، قبل شيء يجب ألا تقبل أي مشورة مني حول هذا الأمر. عليك أن تحصل على نصيحة من طرف يتصف بالحكمة".

"موافق، ومن تقترح؟"

"أنت أدرى مني، غير أنك سترى جيم بيكر في وقت لاحق اليوم. ليتك تأخذ رأيه".

"صحيح، لن يتردد في قول ما يؤمن به".

"نعم، سيفعل" قال كارد. "إنه سيقول لك تماماً ما يفكر به. سل جيم عن الأمر".

"سأفعل. نعم سأفعل".

عادة حين كان بوش يلتقى جيم بيكر أو هنري كيسنجر أو أحد القُدامى، كان ميالاً إما إلى اصطحاب كارد أو إطلاعه على ما دار في اللقاء بعده مباشرة. غير أن بوش شَذَّ هذه المرة عن القاعدة.

في البيت، لاحقاً في تلك الليلة في آر لنغتون الفيرجينية، أطلع كارد زوجه كاتي على ماكان قد جرى.

"اعتقد أن الرئيس أقدم على اتخاذ القرار الصعب ولكنه لا يعرفه بعد". قال كارد.

في 16 آذار/مارس، جاء أبي زيد إلى واشنطن للإدلاء بشهادته أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ. رسم صورة حذرة ولكنها متفائلة للوضع في العراق.

عضوة مجلس الشيوخ الجمهورية من نورث كارولانيا وجهت سهام النقد إلى وسائل الإعلام الدائبة على الزعم بأن العراق في مأزق وفوضى. "الآن بعد الاطلاع على التقدم الكبير الحاصل، المستمر في الحصول، كل الإنجازات المتحققة في العراق، بت من المثير للاستياء سماع قصص وروايات من وسائلنا الإعلامية لا تقدم أحياناً سوى مايشي بالسلبية والتشاؤم".

كان أبي زيد لبقاً، ولكنه عبر عن عدم اعتقاده بأن وسائل الإعلام كان لها تأثير سلبي في المعنويات.

لاحقاً، انتقل إلى عضو الكونغرس مورتا في مبنى مكتب رايبون. جالساً خف الطاولة الخشبية المستديرة الداكنة في مكتب عضو الكونغرس، عَبَّر أبي زيد، نائب القائد في القيادة المركزية (السنتكوم CENTCON) خلال عملية الغزو وأكبر جنرالات المنطقة منذ تموز/يوليو 2003 – القائد العسكري الوحيد المنخرط بعمق في العراق منذ البداية والمستمر إلى الآن في هذا الانخراط – عَبَّر عن الرغبة في التحدث بصراحة. وحسب رواية مورتا، رفع أبي زيد يده للتأكيد وباعد بين إبهامه وسبابته نحو ربع بوصة وقال: "إنها المسافة بيننا".

42

كانت رايس قد أرادت أن يعود زليكوف إلى العراق ثانية في شباط/فبراير 2006، غير أن نسف جامع الإمام العسكري والأزمة التي أعقبت ذلك أديا إلى تأجيل الرحلة. إلا أنه ما لبث أن قام بالرحلة أخيراً ووافى رايس مذكرة سرية **محصورة التداول** مؤلفة من 9 صفحات ومؤرخة في 18 آذار/مارس.

قال إن العراق متماسك في حالة توازن حرج. "صحيح أن الجيش العراقي أُعيد بناؤه والتمرد جرى احتواؤه، ولكن الإيقاع العميق ومستوى هجمات المتمردين بقيا بالفعل لافتين بثباتهما منذ أكثر من سنة. أيٌّ من الطرفين لم يحرز تفوقاً حاسماً. وتبقى النتيجة توازناً غير مستقر يراوح حيث هو". وكل ما ترتب على انتخاب كانون الأول/ديسمبر 2005 من زخم إيجابي كان قد بدأ بالتبدد، وراح الناس عبر الطيف يعبرون عن القلق من أن المركز لن يعود قادراً على مواصلة الثبات.

وبرأي زليكوف، كان يتعين على العراقيين، إذا أرادوا النجاح، أن يجتازوا ثلاث اختبارات كبرى في الأشهر المقبلة: "تأسيس حكومة وطنية حقاً، لجم العنف الطائفي (المدهبي) واجتراح صفقة أمنية قادرة على دعم المعتدلين الشيعة والسنة، ودفع الحكومة الجديدة نحو انطلاقة واعدة على نحو ملموس وواضح".

تناول زليكوف مسألة ما إذا كانت الولايات المتحدة قادرة على التعايش مع الجعفري. أبدى زليكوف خشيته من أن يبدأ الجميع بالنظر إلى الرجل على أنه خيار ثان مقبول وإن لم يكن خياراً أول بالنسبة إلى أي من الأطراف. وحسب المعلومات المتوفرة لدى زليكوف كان الجعفري عديم الكفاءة. إلا أنه كان محترف سياسة ماكر وعنيد وراء الكواليس استطاع إطالة أمد محاولات تشكيل حكومة جديدة على نحو مسرحي مثير. "نستطيع أن نقول إننا فقدنا الثقة بقدرة الجعفري على إخراج البلد من أزمته الراهنة، وأن من شأن بقائه رئيساً للوزارة أن نبادر إلى القيام بإعادة تقويم جذرية لموقفنا وإستراتيجيتنا في العراق، لأننا لن نعود متوفرين على ما يكفي من الثقة بقدرة إستراتيجياتنا المعتمدة على النجاح".

بعبارة أخرى، الجعفري مشطوب. من شأن العملية أن تكون جريئة ومحفوفة بالخطر. غير أن العزوف عن المراهنة ظل خطراً في السياسة العراقية.

كان كارد لا يزال يحاول أن يخلي مكانه لغيره، خلال سفره مع الرئيس والسيدة الأولى لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في كامب ديفد. كان ثمة القطيع المألوف المؤلف من عائلة بوش وأصدقائها. حاول كارد أن يستفرد بالرئيس، دون نجاح. لم يكن بوش يتحاشاه؛ بل كان هو - كارد نفسه - يتجنب أن يبقى وحيداً معه. ثمة كان أناس موجودين باستمرار. ظل بوش يقول: "سنتحدث". ولكن في كل مرة حاول فيها كارد أن يكلم بوش كان يفاجأ بوجود آخرين جالسين معهما.

يوم الأحد، غادر كارد كامب ديفد في الساعة 30:5 صباحاً ليتمكن من حضور قداس زوجه في الكنيسة.

"أشعر أنني حقير، رأسي متّسخ، قال لزوجه في اتصال هاتفي من السيارة. لن التحق بك في الكنيسة. سأذهب مباشرة إلى البيت لألزم الفراش". لم يكذب، وفي يوم الاثنين كان مريضاً مثل كلب عليل. ومع ذلك فإنه وصل إلى البيت الأبيض في الساعة 5:30 صباحاً. وفي نحو الساعة 6:15، كان الدكتور توب، طبيب البيت الأبيض، في مكتب كارد عاكفاً على إجراء معاينة سريعة.

"مصاب أنت بالرشح، شديد العدوى" قال توب. المرض هو الأنفلونزا بي.

"إذن لابد لي من المغادرة. سأذهب إلى البيت. لا أريد أن أقابل أحداً". حزم كارد بعض أوراقه وغادر متوجهاً إلى البيت مكث ثلاثة أيام.

في 18 آذار/مارس، عبر حديث إذاعي من كامب ديفد، قال بوش: "إستراتيجيتنا تحقق نتائج. "مؤشرات التقدم الحقيقي" ضاعت في زحمة تقارير أعمال العنف وصورها. "في السنوات الثلاث الماضية كان العراقيون قد انتقلوا من مرحلة العيش في ظل حكم طاغية مستبد إلى دنيا التحرر، السيادة، الانتخابات الحرة، استفتاء على الدستور، وصولاً في كانون الأول/ديسمبر الماضي إلى انتخاب حكومة دستورية عتة بالمئة". لم يؤد أي من هذه الانجازات إلى معالجة، بله حل، مشكلة الأمن، أو جملة قضايا السياسة والبنية التحتية.

في مؤتمر صحفي يوم الاثنين 21 آذار/مارس، سئل بوش عن التصريح الصادر عن رئيس الوزراء السابق العلاوي حول مقتل نحو 50 إلى 60 عراقياً في اليوم. وكان العلاوي قد قال: "إذا لم تكن هذه حرباً أهلية فالرب وحده يعلم ما هي الحرب الأهلية".

عبّر بوش عن اعتراضه على ذلك. أصوات أخرى - الزعيم الكردي طالباني، الجنرال كيسي، خليلزاد - نظرت إلى الوضع من منظار آخر، قال بوش: "عاين العراقيون المشهد وقرروا ألا يتورطوا في أي حرب أهلية". ذلك الصباح في بلدة واقعة إلى الشمال من بغداد نجح مسلحون في الاستيلاء على مخفر للبوليس ومحكمة، قتلوا 17 شرطياً وأطلقوا سراح 20 سجيناً. سئل بوش عن تعليقه. قال: "لدينا خطة انتصار. أنا متفائل ببلوغ النصر".

وماذا عن ميجر جنرال الجيش المتقاعد بول دي إيتون، الذي قد تولى إدارة تدريب الجيش العراقي خلال السنة الأولى وفي إحدى زوايا الرأي في نهاية ذلك الأسبوع بالنيويورك تايمز كان قد عَدَّ رمسفلد "عديم الكفاءة على جميع الأصعدة الإستراتيجية، العملياتية والتكتيكية، وطالب، بإلحاح، باستقالته؟

"لا" رد بوش "لا أعتقد أن عليه أن يستقيل. أعتقد أنه قام بعمل رائع". كان تطعيم الوحدات العراقية بجنود أمريكيين "ناجحاً".

أطنب في الكلام، نطق بـ 7.484 كلمة، حسب إحصاء كلمات خطابه بعد تفريغ شريط التسجيل.

كان كارد عائداً إلى البيت الأبيض من المكتب البيضوي إلى حديقة الورود. كان الجو غائماً ورطباً. قال كارد: "سيادة الرئيس، لقد فلت الخيط. أنت تعرف ذلك وأنا أعرف ذلك". وفي أحد إيجازاته الأقل رشاقة، أضاف: "في هذه اللحظة نرى طرف الخيط متطايراً ذات اليمين وذات الشمال".

"لماذا؟ ما الذي يجعلك تقول ذلك؟"

"أنا واثق من الأمر".

"لا، أنا لا أستطيع معرفة سبب قولك لذلك".

"تأكد إن الخيط قد فلت".

يوم الجمعة، يوم 24 آذار/مارس، رافق كارد بوش إلى كامب ديفد. أخيراً نصق بوش بما عرفه كارد. ربما كانت الساعة قد دقت.

كانت لحظة أسى. نهاية حقبة بالنسبة لكليهما.

ملاحظاً أنها كانت لحظة عاطفية بالنسبة إلى الرئيس، قال كارد "لا تبال. إنه التصرف السليم. لا تهتم على الإطلاق. إنه الشيء الصحيح، أضاف كارد كما لو كان بأ مواسياً: "انسَ الموضوع. لا توله مقدار ذرة من الاهتمام. إنه الشيء الصحيح، يمكنه أن يحدث بسهولة". هو الآخر كان منفعلاً: "ما كنت قد كتبت السيناريو بهذه الطريقة، غير أن كتابة السيناريو لم تكن من مسؤولياتي أنا".

اتُّخذ القرار، عادا كما كان قد سبق لهما أن فعلا مرات كثيرة إلى أسئلة من الذي ينبغي أن يعرف، بأي ترتيب، وفي أي وقت وكيف يتم إبلاغ العالم.

لم يكن مطلوباً منهما مناقشة سؤال "لماذا؟". مثل عدد كبير جداً من قرارات بوش، كقرار غزو العراق، ثمة كان نوع من الزخم، جملة الخطوات الكبيرة والصغيرة التراكمية التي تفاعلت على نحو مباغت. قد تؤدي استقالة كارد إلى إكساب بوش بعض الوقت. كان الرجل بحاجة إلى توجيه جديد.

قال الرئيس إن جوش بولتن، مدير مكتب الإدارة والموازنة، كان قد وافق على أخذ مكان كارد. ومع أن كارد هو الذي ظل يضغط، فقد بوغت إذ رأى أن بوش كان متقدماً عليه بخطوة. فبولتن الذي كان نائباً لكارد لمدة عامين قبل الانتقال إلى مكتب الموازنة، كان حائزاً على شهادة حقوق من جامعة ستانفورد وسبق له أن عمل لدى غولدمان ساخس قبل الالتحاق بركب حملة بوش سنة 1999 مديراً للتخطيط.

قال كارد "أفضل أن يكون الإعلان عاجلاً لا آجلاً. مجاملة يطيب لي أن بلغ أولادي وأشقائي وثلاثة من أصدقائي الحميمين".

بعد ظهر يوم الاثنين، طار كارد إلى سنسيناتي لإلقاء محاضرة بمناسبة حفل عشاء يوم لنكولن كانت مبرمجة منذ وقت طويل. أمام نحو 600 شخص ركز كارد، في المقام الأول، على ما كان قد حدث يوم 14 أيلول/ سبتمبر 2001، بعد هجمات 9/ I الإرهابية بثلاثة أيام، حين أمر بوش بإحداث تغيير إدارة وتوجه بالنسبة إلى مكتب التحقيقات الاتحادي (الاف بي آي FBI)، زار موقع الحادث بمانهاتن، وكانت الزيارة برفقة أهالي وعائلات ضحايا الهجمات.

صباح اليوم التالي، الثلاثاء، يوم 28 آذار/مارس، في الساعة 8:30 صباحاً دخل الرئيس، كارد وبولت إلى المكتب البيضوي وأعلنوا التغييرات الحاصلة.

◎ ◎ ◎

راود كارد شعور بالانفراج مشوب بإدراك حقيقة أنه كان يترك عملاً غير منجز. تمثل أحد أكبر هواجسه باحتمال صيرورة العراق شبيهاً بفيتنام. كان ثمة 58.249 اسماً على النصب التذكاري لضحايا الحرب الفيتنامية بواشنطن. كان أحد انتقادات هنري كيسنجر المهموسة الموجهة إلى بوش متمثلة بعدم امتلاك الأخير لآلية محددة، أو حتى لنوع من النزوع إلى النظر في سلبيات القرارات المعلقة. نادراً ما كانت مسارات بديلة للتحرك مدروسة. وبمقدار ما استطاع كارد أن يتذكر كانت هناك من المناقشات غير الرسمية، المتفائلة أحياناً من منطلق "وما الذي كان بوسعنا أن نفعله على نحو مغاير؟" غير أن أي جلسات رسمية لم تكن تُعقد لدراسة بدائل البقاء في العراق. وعلى حد علمه لم تكن ثمة أي مذكرات زاخرة بالألم والمعاناة مذيلة بتواقيع تشيني، رايس، هادلي، رمسفلد، وكالة الاستخبارات المركزية، كارد نفسه أو شخص آخر، داعية إلى معاينة بدائل معينة، كما سبق أن طفا على السطح بعد الحقبة الفيتنامية.

قام كارد بإحالة الأمر على الجنرالات - ميرز وبيس في البنتاغون، أبي زيد وكيسي في العراق. لو تحلوا بالجرأة وقالوا للرئيس: "ليست المسألة جديرة، أو "المهمة متعذرة الإنجاز" لما تردد الرئيس في الرد عليهم قائلاً: "لن أطلب من ولد آخر من أبناء الوطن بأن يضحي في سبيل ذلك". حسب قناعة كارد الراسخة.

كان كارد متحلياً بما يكفي من الواقعية ليرى وجود نقطتين سلبيتين في شخصية بوش العامة كانتا قد حددتا مصير رئاسته: عدم الكفاءة والغطرسة. لم يكن كارد مقتنعاً بأن بوش كان عديم الكفاءة، مما اضطره لمواجهة احتمال أن يكون هو نفسه، بوصفه رئيس جهاز العاملين لدى بوش، غير كفؤ. يضاف إلى ذلك أنه لم ير أن الرئيس كان متغطرساً. غير أن الشخصية والتقديم - عملية التسويق - كانت قد أظهرت بوش متغطرساً. قد لا يكون ذلك عدلاً، أمراً غير مبرر برأي كارد، ولكنه كان حاصلاً. كان موشكاً على الرحيل. في حين أن الرجل المسؤول بالدرجة الأولى عن مشكلات ما بعد الحرب، الشخص الذي كان يجب أن يرحل، رمسفلد، كان باقياً.

قال كارد لبولتن: "إنه العراق، نعم العراق، العراق أيضاً وأيضاً. وبعده يأتي الاقتصاد". بوصفه مدير موازنة ونائباً سابقاً لكارد، لم يكن بولتن قد انخرط في شؤون العراق وشجونه. "لست متمتعاً بتلك النعمة الآن".

قال بولتن: "يمكنني التعويل على ستيف".

"لا تستطيع أن تفعل ذلك. ليس إنصافاً للرئيس. يتعين عليك أن تنتظر إعلامك. لا يجوز أن تحصل على معلوماتك مني أنا. ينبغي للنظرة أن تكون جديدة، طازجة، بكْراً. سبق لي أن كنت منخرطاً فأنا منحاز بالتأكيد، أما أنت فلابد لك من أن تنظر إلى الأمر نَظرة جديدة لأن الرئيس بحاجة إلى شخص يعاين الموضوع من منظور جديد".

قال بولتن: "لا أريد أن أعالج ذلك".

"ليس لديك أي خيار".

في أيامه الأولى رئيساً لجهاز العاملين، بادر بولتن إلى دعوة بعض كبار رسميي الحكومة الأمريكية المطلعين على أوضاع العراق.

سأل أحدهم: "أين سيكون العراق في غضون ستة أشهر؟"

"حيث هو اليوم".

حسب معلومات مساعدي رايس ورمسفلد لم يعد نائب الرئيس تشيني منذ عام 2005 مضطلعاً بأي دور ملحوظ وملموس في إدارة العراق. في اجتماعات ومناقشات مجلس الأمن القومي وغيره، درج على تحميل رايس رسالة محددة: "لابد من الفوز". مرة قال لها: "وظفي كل ما أنت بحاجة إليه من موارد وثروات لكسب معركة العراق. إنها بالغة الأهمية بالنسبة إلى الحرب على الإرهاب. إنها بالغة الأهمية بالنسبة إلى خططنا وسياساتنا في طول العالم وعرضه. ليست هذه مهمة يستطيع المرء إنجازها دون بذل الحدود القصوى من الجهود". بدأت رايس تضفي عليه لقب "مئة بالمئة". كان لابد من بذل 100 بالمئة من الجهود في معركة العراق. كان الطرفان، رايس وتشيني، متفقين مئة بالمئة.

غير أن عدداً كبيراً من مساعدي نائب الرئيس المقربين كانوا يشعرون بأن تشيني كان يضيع في غياب ليبي. فهذا الأخير كان مضطلعاً بالإعداد لجزء كبير من اجتماعات نائب الرئيس ومناسباته، إضافة إلى جزء كبير جداً من العمل الشاق. بدا وكأنه أشبه بجزء من دماغ تشيني.

مع استمرار تنامي نقد معالجة الإدارة لمشكلة العراق، وغَرَق العديد من المؤيدين التضعف في بحار الريبة، راح تشيني يقول لأصحابه إنه الامتحان الحقيقي لقيادة بوس. كان تشيني يقول إن القادرين على الصمود في وجه الضغط السياسي نادرون بين رجال السياسة، بمن فيهم العظماء من القادة. إن الأكثرية تذعن، ولكن بوش لم يفعل، وأكّد تشيني انبهاره بذلك.

بات تشيني أكثر تعويلاً على زوجه لين، وابنته ليز في الحصول على المشورة. كانتا تعززان إحساسه بأنه على صواب، وما لبث تشيني أن أصبح متزايد الابتعاد عن الواقع، كما لاحظ بعض أصدقائه الحميمين. بل وكان قد أصبح مقتنعاً بأن خطأي الإدارة المعترف بهما على نحو شبه شامل - التعامل مع إعصار كاترينا وترشيح مستشارة البيت الأبيض هاريت ميرز غير الموفق للمحكمة العليا - كانا سيشكلان نقطتين إيجابيتين مئة بالمئة لصالح بوش.

أصبح توني بلير يواجه معارضة متصاعدة بشأن حرب العراق وصار في ورطة سياسية جدية. اقترح على بوش أن يقوم كبار مسؤولي بلديهما معاً بزيارة العراق لمما سة الضغط من أجل تشكيل حكومة جديدة.

كان بوش يتقاسم مع بلير فراغ صبره. ما الذي كان يجري؟ كيف يمكن لهذا أن يستغرق أشهراً؟ طرح فكرة بلير على رايس مقترحاً عليها أن تذهب هي ووزير الخرجية البريطاني جاك سترو إلى العراق.

"إن في الأمر مبالغة، قالت رايس للرئيس. "لا أعتقد أن تلك فكرة جيدة جداً". كان من لسهل جداً أن تبدو محاولة لتسديد هدف من مسافة 63 باردة في الثواني الأخيرة، محا لة يائسة.

أو لم يكونوا في حالة يأس؟! قال بوش إن من شأن الزيارة أن توصل رسالة قوية. وكان لابد لشخص ما من أن يذهب ليتحدث عن صبرهما النافد باطراد.

كانت رايس في انجلترا يوم 2 نيسان/ابريل حين أقلعت بصحبة سترو سراً للانتقال جواً إلى العراق على متن طائرتها. كان سترو متوعكاً فتنازلت له رايس عن السرير الطبي وتمددت هي على الأرضية بالقرب من أكياس الحرق للمعلومات السرية المصنفة ونامت خلال الرحلة الجوية الليلية. كان ثمة إعصار مطري غزير لدى

وصولهما فلم يستطيعا استخدام الحوامات للانتقال إلى المنطقة الخضراء. انحشر أركان رايس والإعلاميون في رينوات كبيرة، وهي عربات دفن موتى مصفحة وسط بين الحافلات والدبابات. تعين عليهم أن يرتدوا السترات الواقية ويعتمروا الخوذات. كانت الرحلة على طريق مطار بغداد الدولي - المعروفة باسم شارع الموت - للوصول إلى المدينة مثيرة لأعصاب.

"لا حاجة للقلق" قال جيم ولكنسون ساخراً، مردداً عبارة تشيني الشهيرة: "سيجري استقبالنا بالورود والحلوى".

استقلت رايس ومعها سترو سيارة ضواحي مصفحة. ما لبثا على الفور أن عقا بازدحام مروري لمدة ساعة ونصف الساعة أمام أحد الحواجز، فتسارعت دقات قلب رئيس جهاز الأمن. وفيما كانا يتقدمان زحفاً، حاولت رايس وسترو دراسة حالة الجعفري الذهنية. كانا سيمارسان الضغط عليه. كان سجله على امتداد السنة الماضية مخيباً. كانا يريدان إخراجه من الحلبة. كان يحظى بتأييد الشيعة في المجلس الوطني بأكثرية صوت واحد فقط 64 مقابل 63 ولم يكن متمتعاً بأي دعم آخر. والأكراد كانوا استثنائيي الرغبة في الخلاص منه.

لاحقاً بعد ظهر ذلك اليوم،عقدت رايس وسترو اجتماعاً مع الجعفري على انفراد أرادوا خلق جو حميمي. فالاجتماع كان مرشحاً لأن يكون عسيراً مثل أي اجتماع يعقده دبلوماسيون أجانب مع زعيم دولة ذات سيادة. حملت رايس معها عدداً من الرسوم الكاريكاتورية العراقية المنشورة في الصحافة العراقية استهزاء وسخرية بالإخفاق في تشكيل الحكومة. قالت إن العراقيين شديدو الاستياء. كما أن الأمريكيين والرئيس بوش بالغو الاستنكار ونفاد الصبر.

قالت رايس للجعفري صراحة: "حان وقت التنحي جانباً". كرر سترو ما قيل. ثم أضاف أن البريطانيين أيضاً لديهم نظام برلماني، وراح يشرح مدى أهمية تشكيل الحكومات الجديدة بسرعة لأن من شأن الجمهور أن يشعر بالإحباط إذا لم يحصل ذلك. لابد للجمهور من أن يبدأ بالتساؤل: أين هي حكومتنا؟ أين هم قادتنا؟

لم يكن الجعفري مستعداً للالتزام.

فيما بعد، في أحد الإيجازات الصحفية، وجه أحد المراسلين إلى رايس سؤالاً عما كانت ستفعله إذا لم تر انبثاق حكومة جديدة في غضون خمسة أسابيع.

ردت رايس: "لا أستطيع طمأنتك إلى أنني سأنتظر خمسة أسابيع".

◎ ◎ ◎

كانت ميغان أوسليفان، رئيسة مكتب العراق لدى هادلي، قد رافقت رايس في الرحلة وتخلفت عن العودة مع رايس وستيرو. فيما بعد أمضت هي وخليلزاد ثلاث ساعات كاملة مع الجعفري. كانت الرسالة بسيطة: في ظل الدستور العراقي يتعين عليك أن تشكل حكومة تحظى بتأييد الطائفتين الأخريين – السنة والأكراد. يبدو أنك لست متمتعاً بذلك التأييد، فما هي خطتكم للسير قدماً؟

أصر الجعفري على أنه متمتع بقدر من التأييد يفوق ما تعبر عنه التصريحات والرسائل المنشودة على الملأ.

تمثلت مشكلة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بكون دعم الجعفري آتياً من الإيرانيين ومن مقتدى الصدر المثير للاشمئزاز. وبعد حادث التفجير في سامراء يوم 22 شباط/فبراير، لم يبادر الجعفري إلى التعبير عن الذكاء اللازم للانقضاض على هجمات مقتدى على السنة، تلك الهجمات التي كانت مرعبة، ولاسيما في بغداد. كان الخوف هو أن من شأن اختيار الجعفري رئيساً للوزارة مدة أربع سنوات أن يفضي إلى جعله مخلباً بيد مقتدى.

وبعد سنوات الجهود كلها لم تكن محصلة كهذه – رئيس وزراء أسير وألعوبة بيد أمير حرب مثل مقتدى – قابلة للتصور.

بصرف النظر عن احتمالات ورود أبناء بالغة السوء، لم يكن ثمة من هو أفضل من رمسفلد في إعادة صياغة القضايا والحوارات. ففي نيسان/ابريل 2006، دعا ستةُ جنرالات متقاعدون علناً إلى استقالته، موردين سلسلة من الأخطاء في العراق، بما فيها الإخفاق في توفير ما يكفي من القوات. يوم الثلاثاء الواقع في 18 نيسان/ابريل 2006 ظَهَر رمسفلد في أحد مؤتمراته الصحفية الدورية مع الجنرال بيس إلى جانبه. كان هناك قدر كبير من التلهف لمعرفة رده على الانتقاد الذي شاع كثيراً تحت عنوان "ثورة الجنرالات".

بدأ رمسفلد الكلام: "نهاركم سعيد أيها الشعب. لعل أحد الأشياء المثيرة في هذه المدينة هو أن هناك حشداً كبيراً من أسباب اللهو إلى درجة أن الناس يغفلون أحياناً عن أنهم محظوظون جداً.

"اليوم بالذات مضى 64 عاماً على قيام جيمي دوليتل، رغم كل الصعوبات، بقيادة غارة على طوكيو في الأيام الأولى من الحرب العالمية الثانية، "قال رمسفلد وأضاف أنه "في هذا اليوم، أيضاً "قبل مئة عام تعرضت سان فرانسسكو للتدمير شبه الكامل جراء أحد الزلازل".

بعد خمس دقائق من هذه الافتتاحية، بادر أحد المراسلين إلى السؤال عن الجنرالات الذين كانوا قد قالوا: "إنك دائم الازدراء بل وحتى الاحتقار للنصائح الصادرة عن كبار ضباط الجيش".

رد رمسفلد: "أجدني ميالاً إلى تفضيل أخذ بعض الوقت قبل تناول المسألة" وأضاف، كما لو أن تعليقات الجنرالات عليه كانت مشكلتهم هم: "لست ممن يحلو لهم أن يكونوا آنيين في إصدار الأحكام عليهم".

حاول المراسل التدخل: "يا سيادة الوزير".

تابع رمسفلد محاضرته في التاريخ قائلاً: "في طريقي إلى العمل اليوم، فكرت بأمر حدث قبل 30 سنة، ربما في وقت قريب من هذا الشهر باعتقادي. كنت وزيراً للدفاع". قدم وصفاً تفصيلياً لكيفية قيامه بإلغاء توصية الجيش بشأن مدفع ومحرك لدبابة الام واحد (M1) القتالية".

واصل كلامه: "ثمة من تصور أن العالم كان سينهار. أن السماء كانت ستطبق على الأرض. لم يكن أحد يستطيع أن يتصور إمكانية قلب ما اقترحته الوحدات العسكرية العاملة بشأن دبابة هجومية رئيسة رأساً على عقب. ظلت أصداء القصة تتردد في وسائل الإعلام فترة طويلة من الزمن" وقد كانت إعصاراً من النار.

"أصحاب العلاقة كانوا طيبين، ثمة كانت تباينات في وجهات النظر، ودعت الحاجة إلى وجود شخص يقدم على اتخاذ القرار". ولمدة خمس دقائق أخرى واصل إيراد قائمة بجميع التغييرات التي كان قد أدخلها في السنوات الأخيرة. أفاد الوزير بأن أعداداً كبيرة من التنقلات التي أجراها كانت قد قوبلت بما يشبه التمرد مثل تعيين الجنرال جونز من المارينز قائداً للناتو أو الجنرال بيس رئيساً لهيئة الأركان. "جنرال من المارينز رئيس لهيئة الأركان المشتركة للمرة الأولى في التاريخ - تصوروا! يا للهول!" قال رمسفلد

حاول أحد المراسلين أن يقاطع بسؤال.

رد عليه الوزير: "طُرح علي سؤال وسآخذ الوقت الذي أنا بحاجة إليه كله". فأثار موجة ضحك.

"غير أنني أعتقد أن علينا أن نعترف بأن تغييرات كثيرة حاصلة". وهو أمر يشكل تحدياً للناس؛ إنه صعب بالنسبة إلى الناس". وحين سئل ثانية عن مخاوف الجنرالات الستة المتقاعدين علق قائلاً: "أظن أن لدينا ما لا يقل عن 6.000-7.000 أميرال وجنرال متقاعد... من قال إن من الممكن أن يكونوا مُجمعين على أي موضوع؟!"

بعبارة أخرى كان من الصعب جداً أن يكون وزيراً للدفاع وهو محاصر بكل هذه الأعداد الغفيرة ممن لا ينظرون إلا إلى الخلف. بعد المؤتمر الصحفي اجتمع رمسفلد على حدة مع اثني عشر جنرالاً متقاعداً - لم يكن أي منهم قد دعا إلى استقالته - وعدد من الخبراء الخارجيين. كان يفترض أن يكون اللقاء بعيداً عن الأنظار وغير خضع للتسجيل.

سئل عن رأيه حول عدد القوات التي استُخدمت في خطة الحرب العراقية.

قال رمسفلد من طرف الطاولة: "كانت خطة الحرب الأخيرة تدعو إلى حشد نحو 400.000. صحيح، أليس كذلك يا بيت؟" "نعم، سيدي" رد الجنرال بيس من الطرف الآخر للطاولة.

ثم قال رمسفلد متذكراً: "بعد ذلك اتصل معي فرانكس وقال أوقفوا تدفق القوات. لم يكن بحاجة إلى أي مزيد". كان فرانكس القائد الميداني على الأرض وبالتالي فإن رمسفلد، حسب رأيه هو، قد تجاوب إيجاباً مع توصية جنراله.

"إلى أي مدى كان الوزير مقنعاً؟" تساءل أحد العسكريين المتقاعدين، الميجر جنرال وليم ناش، الذي بات الآن أحد كبار الباحثين في مجلس العلاقات الخارجية. في المؤتمر الصحفي، كان رمسفلد قد قدم نفسه عامل تغيير جريئاً، حازماً. أما لدى التعرض لأحد أهم القرارات خلال الحرب، فقد سارع رمسفلد، ببساطة إلى الإذعان لما قاله الجنرال فرانكس.

43

أخيراً تنحى الجعفري جانباً يوم 20 نيسان/ابريل، وبادر البرلمان العراقي في اليوم التالي إلى اختيار رئيس وزرائه الدائم الأول - شيعي صلب ولكنه عاقل يدعى جواد المالكي البالغ 56 سنة من العمر. لم تكن الاستخبارات الأمريكية تعرف شيئاً ذا بال عنه. عاش في المنفى مدة 23 سنة متنقلاً، على ما يبدو، بين سورية وإيران، كان ناطقاً سابقاً باسم حزب الدعوة الشيعي، وقد بدا ناطقاً بكل الأشياء الصحيحة. غير أن العيون الغربية لم تره أساساً إلا بوصفه واحداً من معشر حزب الدعوة المجهولين.

تحدث الرئيس مع رايس. كان على علم بالتوتر الحاصل بين رايس ورمسفلد. كانا يتجاوزان مجاليهما، يخرجان من مساريهما أو ساحتيهما، كانت هي تمد نظرها إلى الجيش وكان هو يدس أنفه في السياسة. قال بوش: "أعتقد أنه سيكون من الجيد حقاً أن تتوصلي إلى تسوية مع دون؛ أن تسافر معاً إلى هناك. يمكنكما أن تُظهر للملأ أن جناحينا العسكري والسياسي متناغمان ومنسجمان بالفعل. وأنا أستطيع أن أصغي إليكما كليكما. ليتكما تبادران إلى النظر في جناحي الأمر كليهما، وأنا استمتع بالاستماع إليكما على نحو متزامن".

بعد أربعة أيام كانت رايس ومعها رمسفلد في بغداد. ذهبا إلى مقر إقامة خليلزاد والتقيا المالكي في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الأربعاء الواقع في 26 نيسان/ابريل. ليس من عادة المالكي أن يصافح النساء فسارع إلى وضع ذراعه الممدودة على صدره وقلبه في حركة عربية شائعة. حرص المالكي ذو الجسم الضئيل، المائل إلى الصلع مع خصلة شعر مميزة على جبهته، على عدم إضاعة الوقت في كلام غير ذي معنى. ومع أنه يفهم الانجليزية، فإنه تكلم بالعربية واستخدم مترجماً.

قال إن أول تحدياته كان متمثلاً، حسب رواية كاتب محضر الاجتماع الأمريكي، بمعالجة مشكلة انعدام الثقة بين الشيعة، السنة والأكراد. ثم أضاف أن التحدي الأكبر الذي كان يواجهه، ثانياً، هو تحدي الإرهاب. قال المالكي: إذ نجحت في التغلب على التحدي الأول، فإن من شأن ذلك أن يساعد على النجاح في التعامل مع الإرهاب".

أفاد المالكي بأن عليه، حسب اعتقاده، أن يقوم، خلال الأشهر الثلاثة الأولى، بتحقيق بعض التحسينات الملحوظة في الخدمات. "إن الناس بحاجة إلى الطاقة" قال المالكي قاصداً الكهرباء.

أما عن قضية الأمن فقد قال المالكي: "لا يسعدني أن أرى الشرطة وأنا في الشارع". لم يكن يثق بالشرطة، بل وقد ألمح إلى أنه كان يخرج متنكراً.

قالت رايس إنها متفهمة شخصياً. بوصفها طفلة زنجية نشأت في بيرمنغهام الآلابامية الممزقة عنصرياً، أوائل ستينيات القرن العشرين، كما قالت. "حين كانت دورية الشرطة تتوغل في حيّنا لم نكن نشعر بالاطمئنان. كنا نحس بالخوف. ففي ستينيات القرن العشرين كان مفوض الأمن العام بالمدينة هو بول كونور، عنصرياً سيء السمعة كان قد أمر باستخدام الأسلحة النارية والكلاب المدربة في التصدي لمسيرات أنصار حقوق الإنسان. كان أحد الأمور الأكثر لفتاً للنظر بالنسبة إلي هو الذهاب إلى بيرمنغهام في العام الماضي للقاء المرأة الزنجية التي هي خَلَف بول كونور. ذلك يعني أن هذه الأمور يمكنها أن تتغير". لم تضف أن القضية تطلبت عقوداً من الزمن في آلاباما.

بدا المالكي متعاطفاً مع تلك الصور وأفاد بأنه كان عازماً على العمل لإعادة تأسيس وزارة الداخلية المكلفة بالإشراف على الشرطة. "ثمة كثيرون من أولئك الناس ممن هم ليسوا أشراراً، قال المالكي. "لا ينقصهم سوى التدريب على إتقان العمل، وعلينا أن نوفر ذلك". كان يأمل في وضع خطة أمنية يطلق عليها اسم: "استعادة بغداد". إذا نجحت الحكومة الجديدة في جعل العاصمة آمنة، فإن من شأن باقي البلد، حسب تلميحه، أن يتبع. ونظراً لأنه كان موشكاً على انتقاء الوزراء، قال: "على الوزراء أن يكونوا وزراء للعراق كله، لا وزراء لهذا الحزب السياسي أو ذاك".

ظل خليلزاد عاكفاً على التسبيح بعصبية، لاحظ المالكي ذلك وراح يبحث عن سبحته هو. اهتدى إليها في أحد جيوبه، أخرجها، وسارع إلى مباشرة التسبيح.

قال رمسفلد إن من الضروري أن نشرع، عند أحد المنعطفات، في التحدث عن القوات الأمريكية. كان الأمر في سياق الدوريات. لم يستخدم عبارة "سحب" أو "انسحاب" غير أن جميع الآخرين" بمن فيهم المالكي، أدرك ما عناه.

على مائدة العشاء في ذلك المساء مع مسؤولين كبار عراقيين وأمريكيين، تلفت المالكي حوله وقال: "هذا هو الفريق الذي يتنكب مسؤولية وطننا. وهذا الفريق يمثل جميع عناصر المجتمع العراقي. نؤمن بوحدة العراق وسوف نعمل لتعزيز أمننا الوطني.

قال المالكي لرايس: "يتوقف النجاح على الكفاءة. وخلال نقاش مطول للرسالة المرجو إصدارها، قال: "ينظر العالم إلى العراق بعينين اثنتين، قاصداً كلاً من العنف على شاشات التلفزة من جهة والآمال الكبيرة من جهة ثانية.

فيما بعد عقدت رايس اجتماعاً ثنائياً مع المالكي. قال الأخير: "لقد عانى الشعب العراقي ما يكفي. وإذا لم أبين أننا نستطيع أن نحكم، فإننا لن نكون قادرين على فعل هذا بعد الآن. سيضيع كل شيء إذا لم نستطع إثبات قدرتنا على الحكم".

فوجئت رايس. كانت المرة الأولى التي كانت تلتقي فيه زعيماً عراقياً حمَّل نفسه جملة مسؤوليات دون المبادرة الفورية إلى السؤال عما كانت الولايات المتحدة ستفعله. قلت رايس كان ثمة وقت فَقَد فيه الشعب الأمريكي الثقة نتيجة الكساد الكبير (الأزمة الاقتصادية الكبرى) في ثلاثينيات القرن العشرين. كانت صفقة فرانكلن روزفلت الجديدة قد خلقت انطباع أن شيئاً سيكون مختلفاً. صحيح أن الصفقة الجديدة لم تجعل حيوات الناس أفضل بين عشية وضحاها، قالت رايس، ولكنها أشعرتهم بأن هناك من يبدي اهتماماً. أحسوا بأن شخصاً معيناً كان كلي الالتزام ودائب السعي لإنجاز المهمة ودفعهم إلى العمل. كانت تلك رسالة أمل أكدت وجود شخص مهتم ومسؤول وأن الحياة ستكون مختلفة.

سأل المالكي عن الشيء الأول الذي كان يستطيع أن يفعله. هل هو توفير الكهرباء؟ هل كان من شأن ذلك أن يشعر الناس بأن الأمور باتت مختلفة؟

انفعلت رايس. اصطحبته لمقابلة مستشار اتصالاتها جيم ولكنسون.

قالت رايس للمالكي: "هذا هو الرجل الذي كنت أحدثك عنه، إنه جيم، وسأتركه لمساعدتك". كان ولكنسون قد اضطلع بتولي رئاسة مراحل انتقالية في سلسلة من الإدارات بما فيها انتقالها هي إلى وزارة الخارجية، وفي أمكنة كثيرة من منغوليا إلى فلسطين. كان قد درس اللغة العربية لمدة سنة بعد 9/11؛ وقالت رايس إنه خبير على صعيد مد يد المساعدة في قضايا الإدارة والهيكلة بالنسبة إلى أي مكتب جديد وصولاً إلى مسائل براغي وعزقات فضاءات المكتب وهواتفه. "قد يبدو صغير السن ولكنه صاحب خبرة واسعة في الإدارة والتخطيط وقادر فعلاً على مساعدتك. وأنا سأتركه هنا طوال بقائك بحاجة إليه".

فوجئ ولكنسون الذي لم يكن قد أُنذر من قبل، وكان قد جاء مصطحباً ملابس لبضعة أيام فقط.

"أنت الأستاذ، وأنا الطالب" قال للمالكي بالعربية. ضحك المالكي وعانق مستشاره الجديد

عقدت رايس ورمسفلد لقاء مع عدد من المراسلين الأمريكيين.

مراسل من بلومبرغ نيوز قال: "يتعين عليكما أن تطيرا سراً. ما الذي يشي به ذلك عن آفاق استعادة الأمن والاستقرار إلى هذه الربوع وعن حال الوضع الأمني هنا؟"

أصاب السؤال عين أحد الاختلافات بين رايس ورمسفلد. التفتت رايس إلى رمسفلد. ألم يكن الأمن ملفه هو؟! دام الصمت عشر ثوان قبل أن يبادر رمسفلد إلى الكلام، مخترقاً المراسل بنظراته الغاضبة.

أجاب باقتضاب: "لا أعتقد بأن ذلك يشي بأي شيء". ثم أضاف أنه جاء إلى هنا لمقابلة جنرالاته. "ولكنني لا أجد أي معنى لسؤالك".

تدخلت رايس قائلة: "من الواضح، أن الوضع الأمني سيظل موضوع اهتماما واهتمام العراقيين. غير أننا قلنا دائماً، بل وأشعر اليوم بقوة أكبر، أن الإرهابيين محكومون بأن يتعرضوا للهزيمة في نهاية المضاف جراء عملية سياسية تتم هنا".

كان السؤال الثاني حول تقليص النفوذ الطائفي والمذهبي في وحدات الجيش، الشرطة والميليشيات العراقية. "تحديداً كيف تحققون الهدف؟"

"أقدر أن أول شيء يتعين عليّ قوله هو: نحن لا نحقق شيئاً. العراقيون يفعلون". قال رمسفلد "إنه بلدهم. إنه بلد ذو سيادة. ليست هذه حكومة مؤقتة أو انتقالية. بلدين أخرى عالجت هذه القضايا وحلّتها بطريقة معقولة ومنتظمة وخلال فترة زمنية مقبولة بأسلوب كان، في كثير من الحالات، دون قدر كبير من العنف. وبالتالي فإن من الممكن لهذه الأمور أن تُنجز".

كان رمسفلد يكتب أو يخربش بقلمه أو يحدّق في السقف فيما اضطلعت رايس بالمسؤولية عن الجزء المتبقي من المؤتمر الصحفي.

أدركت رايس أنه بات من المحتوم أن يبقى تراثها أيضاً خاضعاً للتقويم في ضوء ما جرى في العراق. أطلعت بوش بإيجاز على لقائها المالكي لدى عودتها معترفة بأنها تشجعت. كان هذا هو الزعيم العراقي الأول الذي قال: "هذه مسؤوليتي". كما أفادت.

ذهب ولكنسون للقاء المالكي في مكتبه بمركز الإعلام الدولي. لم يكن ثمة أي مكيفات، وكانت الفوضى سيدة الموقف. غير أن الأمن الشخصي للمالكي كان الواجب الأول. فبعد نضال ثلاث سنوات لجلب الديمقراطية إلى العراق، كان من شأن المعنى الرمزي لاغتيال رئيس الوزراء العراقي الجديد أن يشكل عبئاً أثقل من أن يطاق. قام ولكنسون بتعريف المالكي على فريق ضباط الاحتياط البحري الذي كان سيُكلّف بحراسته على مدار الساعة.

"لك أن تختار أنموذجك الخاص في الإدارة" اقترح ولكنسون. "ثمة الطريقة العراقية. ثمة الطريقة الأمريكية والغربية. وثمة طريقة مالكية لإدارة العمل. ليتك تتمد الطريقة المالكية!"

أمضيا ساعتين ونصف مع أعداد من لجداول والمخططات المحَوْسبة - بدا المالكي ذ عقل شديد الولع بالتكنولوجيا - التي قامت على برمجة الجمع بين مراقبة الوزراء، إدارة المكتب الشخصي، ومتابعة سلسلة مكاتب الإعلام، المالية، المراسم وخبراء التخطيط. وبطلب من المالكي كتب ولكنسون أوصافاً وظيفية لكل موقع وصولاً إلى وضع خطة مكتوبة للأيام الخمسة الأولى في المنصب بعد استلام الوظيفة رسمياً في الشهر المقبل. لاحظ أن المالكي كان يحتفظ بخمسة هواتف جوالة.

تعين على ولكنسون أن يطلب التدخل من خليلزاد لضمان أمن مكاتب المالكي. كان الاخير قد عين متحدثاً باسمه، الدكتور صلاح عبد الرزاق الذي كان يقيم خارج المنطقة الخضراء مع زوجه وطفليه. ومن غير المستغرب أنه كان يخشى على حيواتهم. "ما الذي أستطيع فعله؟" سأل المتحدث الجديد ولكنسون الذي أخذه إلى فندق الرشيد.

قال ولكنسون: "نريد منكم تأمين غرفة لهذا الزيون وعائلته لهذه الليلة".

كان من شأن الأمر أن يستغرق بعض الوقت.

"يأتي الليلة للإقامة".

جاء في اليوم التالي.

كان رئيس جهاز العاملين لدى المالكي والناطق باسمه بحاجة إلى وثائق تمكّنهما من دخول المنطقة الخضراء.

"هل تستطيع تأمين الشارات المطلوبة لهذين الزيونين؟" سأل المالكي ولكنسون.

"دون شك" قيل لولكنسون لدى سؤاله الأول غير أن الأمر كان سيستغرق من ستة إلى ثمانية أسابيع. طار عقل ولكنسون وسارع إلى مطالبة خليلزاد بالتدخل. لم يطل انتظار عُنْصرَيْ المالكي لشارتيهما الدائمتين.

كانت الأيام التالية زاخرة بالتوافه. لم يكن ثمة أي كومبيوترات في مكتب المالكي. تمكن ولكنسون من العثور على عدد من الكومبيوترات التي أمر بشحنها وتركيبها. "نحن بحاجة إلى هواتف" قال المالكي. سارع فريق السفارة إلى تمديد خطوط الهاتف. في إحدى المناسبات تعين على ولكنسون إرسال كميات من الأقلام والورق.

مع اقتراب موعد تنصيبه، قال المالكي إنه لم يكن قادراً على دعوة سوى نسبة الـ1 بالمئة من أعضاء البرلمان لأن القاعة الكبيرة لم تكن مكيفة. "ليتك تابعت الأمر!" التمس من ولكنسون. على جناح السرعة جرى نقل منظومات التكييف الجديدة من سائر أرجاء الشرق الأوسط، بادرت السفارة وورشات الجيش إلى تجهيز القاعة الكبرى بالمكيفات.

لم يكن المالكي يريد أي حفل تنصيب مطنطن ومعقد. ظل يسأل: "كيف أستطيع أن أفعل ذلك والعراقيون يموتون؟"

رأى ولكنسون أن المالكي كان مدمناً على قول جميع الأشياء الصحيحة، حتى بات أشبه بسفير للولايات المتحدة. طلب أحد أركان السفارة من ولكنسون تقويماً عاماً.

رد عليه ولكنسون: "إما أنه طبل أجوف. أو هو اللولب الحقيقي". حسب الظواهر بدا وكأن المالكي كان مجهزاً بفريق من نحو سبعة أفراد كانوا يتخذون سائر القرارات الحاسمة فيما يخص الملاك وغير الملاك. أدرك أنه كان قد اهتدى إلى طريقة لدخول منظومة المالكي على الصعيد الإداري، غير أنه لم يكن قد تمكن من الاهتداء إلى طريقة مماثلة للوصول إلى الجانب التخطيطي. بقي المالكي حريصاً على إبقاء أوراقه قريبة من صدره. أحد كبار المستشارين البريطانيين سأل المالكي عما إذا كان يريد أي مساعدة في كتابة خطاب تنصيبه.

أجاب المالكي بترجمة عربية لعبارة "عندك! ستوب!" بدا واضحاً أنه كانت هناك خطوط حمراء لم يكن المالكي ليسمح بتجاوزها. وكلما سأل ولكنسون عن شيء في علاقة بالتخطيط كان يستطيع أن يرى ارتفاع درع المالكي الزجاجية المهذبة ولكن غير القابلة للاختراق.

مع انخراط ولكنسون في التحدث مع ضباط من الجيش الأمريكي على مستويات عليا وأخرى دنيا، بات قادراً على رؤية التناقض. كانت القوات تتلقى رسالتين. كان ثنائي بوش ورايس يقول إن العراق هو الشيء الأهم، حلقة مركزية في الحرب على الإرهاب، عنصر جوهري بالنسبة إلى الاستقرار في الشرق الأوسط ومستقبل الحضارة. في الوقت نفسه كان الضغط الداخلي في الجيش دافعاً باتجاه رفع شعار "لنخرج من هنا بأسرع وقت ممكن".

توصل ولكنسون في النهاية إلى استنتاج يقول: إنها الفرصة الأخيرة. إذا لم يستطع المالكي أن يبرهن لشعبه أن الديمقراطية أفضل، أن حكومته قادرة على توفير الخدمات والمزيد من الأمن، فإن العملية لن تنطلق.

كثيراً ما كان ولكنسون يقول: "ليتني أعرف مضمون الخطة باء!"

أحياناً كان يتساءل عما إذا كان برنامج جورج دبليو بوش القائم على الديمقراطية أن ينجح فعلاً. هل أحدث هذا الخطاب البلاغي الرفيع صدى أم لا؟ هل كان قدر كبير جداً من هذه النوايا الحسنة الفعلية أو الكامنة للشعب العراقي قد تعرض للتدمير إلى درجة توقف معها عن الإيمان بأن من شأن الديمقراطية أن تعمل لمصلحته؟ كان الأمريكيون قد نجحوا يوماً بأفكارهم وجيشهم ووعودهم في إنزال إنسان على القمر، ولكنهم أخفقوا في توفير الطاقة الكهربائية اللعينة. أليس كذلك؟ تساءل عما إذا كان المالكي سيدفع ثمن الأخطاء الأمريكية، وعما إذا كانت أمريكا ستدفع، بدورها، ثمن أخطائه؟ ما الذي كان من شأنه أن يكسر ظهر الأصولية الإسلامية الكفاحية؟

هل كان بوش يحصل على معلومات صحيحة؟ كان بوش قد أُبلغ مرات كثيرة، وكيرة جداً، مثلاً، أن الطاقة الكهربائية باتت متوفرة أو موشكة على أن تكون كذلك. لم يكن ذلك صحيحاً. منذ وقت غير قصير ظل ولكنسون مؤمناً بأن مركز الثقل هي الكهرباء لأنها كانت مسألة تستطيع رايس ووزارة الخارجية أن تؤثر فيها.

غير أن القضية بقيت متمثلة بالأمن. شاهد فلم بغداد إي آر، ذلك الوثائقي التخطيطي بل وحتى المرعب من طراز الاتش بي أو الممتد ساعة كاملة عن المستشفى الميداني ببغداد الذي كان قد زاره بصحبة رايس في السنة الماضية. لم يكن الفلم الوثائقي إلا تصويراً دموياً بالغ الإثارة لأهوال الحرب التي كان يعاني منها ضحايا المتفجرات المصنوعة محلياً، القنابل وقذائف المورتار من المزقين، المشوهين والقتلى.

لقطات داخلية قريبة تبين أكواماً من السيقان والسواعد المقطوعة التي نسفتها التفجيرات أو تلك التي جرى بترها. ثمة جنود يصلون وقد غطاهم الدم ومزق الشظايا وجوههم، وتوغلت قطع الشظايا في كل الأعضاء من الأطراف والصدور إلى الأعين. أعداد كبيرة من الناجين يرحّلون سريرياً إلى مشاف بألمانيا أو إلى والتررید أما الكثيرون الذين يقضون نحبهم فيجري وضعهم في أكياس الأكفان السوداء. ثمة عملية مسح دائمة للدم المتسرب من غرف طاقم العمليات.

أحد العاملين في المستشفى يقول: "أنا أكره هذه الحرب الغبية. لعلها أسخف الأشياء التي رأيتها. لا أعتقد أنها أذكى من أي حرب أخرى سبق لها أن خيضت". تأثر ولكنسون بالفيلم الوثائقي كثيراً. أخوه كان أحد الجنود المتطوعين في العراق.

راح ولكنسون يتساءل: "أليست حياته أغلى من كل هذا؟"

الوضع العراقي بمجمله كان مأساوياً حقاً. استطاع أن يرى أن ذلك الشعور بـأ يتسلل حتى إلى رايس التي بدت متدهورة المعنويات أحياناً.

مرة قالت له رايس: "أنا أكره المتطرفين".

لم لا؟"

"لأنني لا أثق بأي شخص متطرف اليقين بشأن بعض هذه القضايا". قالت وزيرة الخارجية.

كان منسق السياسة العراقية لدى رايس، جيم جفري، قد سمع لازمة أن المتي كان الفرصة الأخيرة المتاحة للعراق. كان يرى أن ذلك لم يكن إلا هراء فارغاً. ففكرة "الفرصة الأخيرة" بالنسبة إلى العراق لم تكن قابلة ولو لمجرد التصور. صحيح ن الهجمات كانت متصاعدة، غير أن بعض النجاح قد تحقق على صعيد تركيب حكومة. ثمة قدر من التقدم، برأيه.

بكل بساطة لم يكن جفري قادراً على تصور سيناريو شبيه بما حصل في فيتنام عام 1975 أو في الصومال عام 1993 . في تينك الحالتين كانت الولايات المتحدة قد قررت بوضوح أن الورطة بالغة الصعوبة ولا توازي ثمنها.

إذا رحلنا، فإن العراق، حسب قناعته، كان سيتعرض لأحد أمرين. إما أنه سيغرق في بحر من الفوضى الكاملة أو سيصبح دولة مشحونة بالحقد والكراهية إزاء ما يُعرف بالشيطان الأكبر، أي الولايات المتحدة.

يضاف إلى ذلك أن البلد عائم على ما يتراوح بين ثُلث ونصف احتياطي نفط الشرق الأوسط، تبعاً لهوية الخبراء الذين استمعت إلى تقاريرهم. ينطوي العراق على قدر هائل من الأهمية. أقر بوش بأن رئاسته متوقفة على النجاح هنا. وبالتالي فإن الولايات المتحدة لم تكن راحلة، بقناعة جفري. إذا لم ينجح المالكي، فإنهم سيهتدون إلى الخطة باء أو الخطة جيم. أو الخطة دال أو أي خطة أخرى.

بادر الرئيس إلى دعوة عشرة وزراء خارجية ودفاع سابقين إلى غرفة روزفلت يوم الجمعة الواقع في 12 أيار/مايو، رغبة منه في الاستماع إلى آرائهم بشأن العراق. قبل خمسة أشهر، في كانون الثاني/يناير، كان قد عقد اجتماعاً مشابهاً مع المجموعة ذاتها أساساً، غير أنه لم يكن قد كرس إلا القليل من الوقت لكلام المدعوين وبدا دفاعياً إلى أقصى الحدود.

جرى إجلاس باول بجانب رايس التي كانت إلى يسار الرئيس. كان باول قد تابع التقارير الإعلامية التي تحدثت عن رئيس الوزراء العراقي الجديد المعين المالكي. فجأة سارع الجميع، بمن فيهم بوش ورايس، إلى احتضانه. تساءل باول: من يكون هذا؟ زُعم أن هذا الرجل الجديد كان زعيماً أنجح من الجعفري. لماذا؟ نظراً لعمله مع إدارة بوش فترة أربع سنوات، كان يعلم بأن هناك سؤالاً مبهماً آخر يتعين عليه أن يطرحه على نفسه: "هل ما يقال صحيح؟ ما الذي نعرفه عنه؟" بعد شيء من القراءة، البحث والعودة إلى بعض صلاته الخاصة التي ما زالت موجودة في حكومة الولايات المتحدة، فوجئ إذ اكتشف أن أحداً من الولايات المتحدة، بمن في ذلك رايس نفسها، لم يكن قد سبق له أن التقاه.

"ما المهارات التنفيذية التي يتحلى بها وتُوجب منحه الثقة؟" تساءل باول. كان المالكي يقول كل تلك الأشياء التي كانت تُطرب أسماع الجميع. كان يتعهد بضبط المليشيات، إعادة بناء خطوط الأنابيب، والاهتمام بشبكات المياه.

كانت مركزية المالكي محور محاضرة بوش الرئيس.

قامت وزيرة الخارجية السابقة مادلين كي أولبرايت ووزير الدفاع الأسبق وليم كوهن بنقل بؤرة التركيز إلى إيران. كذلك قالت أولبرايت إن على الرئيس أن يفاتح رئيس وزراء ماليزيا: بدوي.

كان باول قد التقى بدوي هذا في الأسبوع السابق. رفع يده ولفت نظر بوش.

تابع باول: "وأنا لا أزال ممسكاً بمكبر الصوت، يطيب لي أن أورد تحذيراً بشأن السيد المالكي، لأنني لا أعتقد وبكل صراحة أن أحداً منا سمع شيئاً عنه أو علم شيئاً عنه حتى لحظة تسميته الأسبوع الماضي. لقد أزحنا الجعفري جانباً، ولكنه نائب من كتلة حزب الدعوة الذي ينتسب إليه الجعفري. ولا يسعني إلا أن أبدي شيئاً ولو قليلاً من الحذر إزاء شخص أمضى الجزء الأكبر من السنوات العشرين ونيف الأخيرة في إيران وسورية.

"لعل الفرق اللافت بين اجتماع كانون الثاني/يناير الذي سبق لنا أن عقدناه معكم وهذا الاجتماع هو أننا، في كانون الثاني/يناير، كنا بصدد حالة تمرد وإرهاب متصاعدين. أعتقد أن الأمور أصبحت أكثر سوءاً. ما زال التمرد متصاعداً. ما زلنا نعاني من الإرهاب. ولكن العنصر الجيد الذي خرج من رحم تفجير الموقع الديني في سامراء هو أننا نواجه الآن عنفاً بين طائفتين مذهبيتين، وهذا أمر بالغ الخطورة. إنها حرب جديدة. وهي حرب تبقي القوات الأمريكية أقل قدرة على التعامل معها، أتفهَّم أن يكون لدى رؤساء محطات وكالة الاستخبارات المركزية وجهة نظر أكثر سلبية بعض الشيء".

لم يستطع باول أن يقاوم. كان حائزاً على انتباه الرئيس على نحو نادراً ما كان يحصل عليه حين كان وزيراً للخارجية. تعمّد عدم إفساد مسار النقاش بإعلان أن العراق كان في حرب أهلية، ولكنه أراد أن يؤكد ما كان يعتقده الخطر الحقيقي. قال باول: "إن إستراتيجيتكم صحيحة على صعيد بناء قوات الجيش والشرطة والحكومة، لأن من شأن عدم وجود حكومة يمكن ربط هذه القوات بها أن يعني أنكم، سيادة الرئيس، لا تبنون قوات، بل أنتم عاكفون على تشكيل ميليشيات".

أومأ بوش موافقاً على ما قاله باول.

ما لبث كوهن وأولبرايت أن عادا إلى إيران.

طالباً الكلام مرة أخرى، قال باول: "يا سيادة الرئيس" أنا موافق على ما قاله بل ومادلين وآخرون حول إيران، ولكن الحدث الرئيس هو **العراق والعراق** أولاً وثانياً. إنه الحدث الذي سيحسم كل شيء. ما نفعله مع إيران مهم، غير أن على المرء أن ينظر إلى الذئب الذي يلتهم".

فيما بعد، جاء هادلي إلى باول وعبر عن رغبته في الاتصال والمتابعة. جوش بولتين، رئيس جهاز العاملين حذا حذو هادلي. أما رايس فقالت لباول: لنتناول العشاء معاً!" رتبا موعداً، غير أنها ما لبثت أن اضطرت إلى إلغاء الموعد. كانت قد أوفدت، على نحو غير متوقع، إلى أوربا للقاء قادة هناك بشأن مفاوضات نووية مع إيران.

◎ ◎ ◎

تولى المالكي المنصب في حفل رسمي عُقد يوم السبت الواقع في 20 أيار/مايو. في قاعة خاضعة لحراسة مشددة داخل المنطقة الخضراء المحمية قام بطرح برنامج مؤلف من 33 نقطة. قال إن التحديات الثلاث الرئيسة هي: الإرهاب، الفساد وتوفير الخدمات للناس.

وفي خطاب له بشيكاغو بعد يومين، يوم الاثنين الواقع في 22أيار/مايو قال بوش إن تقدماً في العراق كان تراكمياً وقد شابه بعض النكسات. "ومع ذلك فإننا الآن قد وصلنا إلى نقطة انعطاف في مسيرة الصراع بين الحرية والإرهاب، قال بوش مشيعاً جواً زاخراً بالتفاؤل. ثم أضاف أن "العراقيين قد برهنوا على أن الديمقراطية هي الأمل في الشرق الأوسط وقدر الإنسانية جمعاء".

درج بوش على عادة تجنب التنبؤات حول التاريخ وأحكامه، غير أنه اختتم كلامه اليوم قائلاً: "بعد سنوات من الآن، سوف ينظر الناس إلى الخلف، إلى تشكيل حكومة وحدة في العراق، بوصفه لحظة حاسمة في مسار قصة التحرر، لحظة فازت فيها الحرية بموطئ قدم راسخة في الشرق الأوسط وبدأت فيها قوى الإرهاب مسيرة انحسار الطويلة.

ذلك الأسبوع كان رمسفلد عاقداً سلسلة اجتماعات وراء الأبواب المغلقة في البنتاغون مع القادة الميدانيين وكبار موظفي وزارة الدفاع المدنيين. قبل رمسفلد كانت هذه الاجتماعات الدورية المنتظمة تُدار من قبل رئيس هيئة الأركان المشتركة. أما الآن فكانت بإدارة رمسفلد.

قام الجنرال جونز، قائد الناتو، بإبلاغ بيس اعتقاده أن رمسفلد كان شديد التحكم بكل شيء، بما في ذلك حتى المراحل المبكرة جداً، إلى درجة أنهم باتوا عاجزين عن ابتكار أي مشورة عسكرية مستقلة كما يقضي واجبهم الحقوقي. كان رمسفلد دائباً على

سوق النقاشات والقرارات والتأثير فيها "سياسياً". أضاف جونز أن عليهم، وهم القاد العسكريون في الخدمة، أن يحذروا من "الهوس السياسي". اقترح على بيس أن يجتمع وحده مع القادة الميدانيين ورؤساء الأسلحة – دون رمسفلد ودون أي من مدنيي وزار الدفاع. ثم قال: "عندي جملة قضايا" بحاجة إلى إثارة ومناقشة في غياب رمسفلد.

وافق بيس عقد اجتماع لمدة ساعة صباح أحد أيام ذلك الأسبوع مع رؤساء الأسلحة والقادة الميدانيين فقط.

في الاجتماع قال جونز إنه أراد أن يركز على قضية واحدة: قيمة القواعد المتقدمة. كانت للمارينز، الجيش، البحرية وسلاح الجو قواعد في سائر أرجاء العالم لتكون في بقع الاضطراب للحيلولة دون النزاعات، ضمان الحدود، اعتقال الإرهابيين أو إلحاق الهزيمة بهم. وفكرة رمسفلد كانت تقول بإعادة أكبر قدر ممكن من القوات إلى الولايات المتحدة. جادل جونز قائلاً بأن هذا كان يدق ناقوس الخطر بالنسبة إلى مفهوم الحضور الأمريكي الكوكبي وبديهيته. كان لابد لهم من أن يتحملوا مسؤولياتهم فيبادروا إلى طرح وجهات نظرهم والتصدي لهذا اللاهوت الجديد لأن من شأنه أن يزعزع مكانة الولايات المتحدة وموقعها في العالم. عدد من الحاضرين وافقوا من حيث المبنى، غير أن أحداً لم يبد مستعداً لمجابهة وزير الدفاع.

44

في اليوم التالي، يوم الأربعاء الواقع في 24 مايو/أيار، قَدَّمَ قسم الاستخبارات في هيئة الأركان المشتركة، الجي - 2، تقويماً استخباراتياً، مصنفاً تحت عنوان سري، أظهر أن قوات الإرهاب في العراق لم تكن متقهقرة. كان التقويم دحضاً مذهلاً لنبوءات الرئيس، قبل يومين فقط بشيكاغو أخيراً. تم إرسال التقرير إلى كل من البيت الأبيض، وزارة الخارجية وسائر أجهزة الاستخبارات الأخرى.

كشف التقرير عن توجهات كانت قد نُقلت إلى بوش على امتداد السنة كلها. كانت الهجمات الإرهابية متزايدة باطراد. وحركة التمرد كانت هي التي تكسب.

كان التقرير يبرز بأحرف كبيرة أن "**من المحتمل أن تكون الهجمات في أيار/مايو على مستوى أعلى من نظيرتها في نيسان، وقد كانت الأعلى حتى الآن. إن تمرد العرب السنة يزداد قوة وطاقات رغم التقدم السياسي وتطور قوات الأمن العراقية**".

مقابل هذا الكلام كان ثمة رسم بياني يوضح متوسط للهجمات اليومية في الأشهر الخمسة الأولى من السنة. تجلى تزايد مطرد:

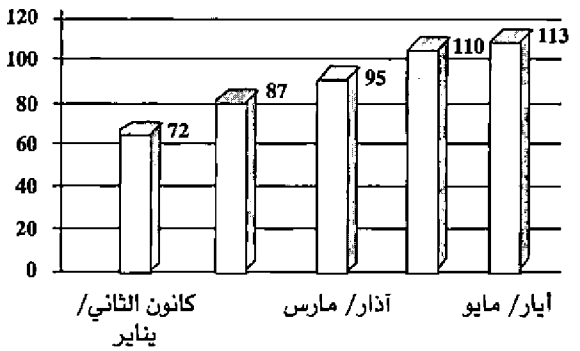

متوسط للهجمات اليومية بين كانون الثاني وأيار 2006

وقد عنى ذلك أن الهجمات باتت تصل إلى نحو 600-700 هجوم في المتوسط أسبوعياً. وكل متفجرة محلية الصنع تم اكتشافها - سواء أنفجرت وتسببت بأضرار وضحايا أم جرى التعرف عليها وتفكيكها قبل أن تحدث أي أذى كانت لا تزال تُعد هجوماً.

وثمة خط بياني يروز الهجمات من أيار/مايو 2003 إلى أيار/مايو 2006 بَيَّنَ عدداً من المنحدرات اللافتة، إلا أن العدد الراهن للهجمات بقي عالياً كحاله منذ البداية، أكثر من 3.500 في الشهر.

كذلك كان التقويم يقول إن "**المتمردين والإرهابيين يحتفظون بالموارد والإمكانيات اللازمة لإدامة بل وحتى لرفع المستوى الحالي للعنف خلال العام القادم**".

وهل ثمة ما هو أبشع من هذه الصورة؟! على الرغم من أن الولايات المتحدة كانت ناشرة قوة مؤلفة من 130.000 جندي - نحو 80 بالمئة من الرقم القياسي - فإن العراقيين كانوا قد دأبوا على زيادة حجم القوات الأمنية وبات لديهم نحو 263.000 في الجيش والشرطة. ربما كان نصف أولئك في الطليعة، متولين إدارة عمليات أمنية عبر العراق، على الرغم من أن لدى كل وحدة عراقية خبراء عسكريين أمريكيين يعملون معها.

كان التقويم السري مرفقاً بتقرير متشائم عن إنتاج النفط الخام. كانت الحكومة العراقية قد حددت 5.2 مليون برميل في اليوم هدفاً لشهر حزيران/يونيو 2006. كان الهدف عالياً وغير واقعي ربما. فالكمية المتوسطة بقيت 2.1 مليوناً في اليوم.

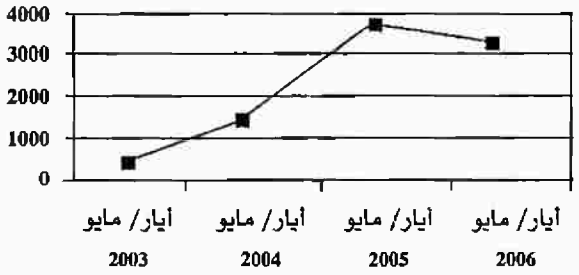

هجمات العدو ضد قوات التحالف والعراقيين شهرياً خلال الفترة من أيار/ مايو 2003 إلى أيا/ مايو 2006

تضمن التقرير السري ما يلي: "**تقويم: الوضع الأمني والتخريب المستمرين يؤديان إلى حرف مخصصات إعادة البناء نحو الإصلاحات ذات الأولوية واستيراد الوقود. من غير المحتمل للإنتاج أن يحقق أهداف وزارة النفط دون إعادة التأهيل على صعيد البنى التحتية، الأمن المعزز والاستثمارات الأجنبية الموسعة**".

وعن الكهرباء: "تقويم: رغم القدرات المضافة لم يتحقق أي مكسب ذي شأن من حيث التوليد منذ عملية الحرية العراقية. إضافة إلى الأمن المحسَّن، يحتاج العراق إلى مقاربة إستراتيجية لإعادة تأهيل القطاع، عبر تطوير محطات كبيرة في الجنوب الأوسط معتمدة على الوقود المحلي.

على الجبهة السياسية لم تكن الأبناء أفضل بكثير. فالصراع للسيطرة على الوزارات بين الشيعة والسنة كان خطراً.

"سيبقى الوزراء موالين سياسياً لأحزابهم المختلفة ومن المحتمل أن تتحول وزارات معينة إلى ملاذات للأحزاب السياسية التي تتحكم بها". قال التقرير.

"من شأن الصعود الشيعي أن يؤدي إلى تصليب وتوسيع المعارضة الشيعية الكفاحية كما إلى مضاعفة النداءات الداعية إلى انسحاب قوات التحالف.

فقرة أخرى تقول: "قد يفضي دمج الميليشيات الشيعية بالمؤسسات الرسمية إلى استعداء السنة العرب، وكثيرون منهم يعتقدون بأن الجماعات الشيعية متورطة في أعمال قتل دون محاكمة".

معلومات استخباراتية أخرى زادت بشاعة الصورة سوءاً. أدوات تفجير متقدمة معروفة باسم قذائف مخترقة تفجيرياً (إي اف بيز EFPs). متفجرات مصممة لاختراق عربات الهمفي، ناقلات الجنود بل وحتى الدبابات، ثم الانفجار من جديد داخل العربة – بات يتم العثور عليها في العراق. ومع أنها كانت قد ظهرت للمرة الأولى قبل نحو سنة، أواسط 2005، فإن نحو 15 كان يجري تفجيرها أو تفكيكها كل شهر أو ربما حتى 40 في الشهر الواحد حسب بعض الروايات، مع حلول ربيع 2006. صحيح أنها لم تكن ذات تقنيات عالية، إلا أنها كانت على درجة من التطور تكفي للدلالة على أنها لم تكن معدة منزلياً. أمكن تعقب آثار آليات الحركة والقدح ذات النوعية العالية إلى إيران. بعض المتفجرات كانت تقدح بأدوات مجهزة بأشعة دون الحمراء سلبية قادرة على التغلب على المضادات الأمريكية. وهذه القذائف المخترقة تفجرياً كانت توازي أربعة أضعاف المتفجرات المحلية التقليدية فتكاً. بينت إحدى الدراسات أن كل متفجرتين محليتين كانتا تقتلان شخصاً واحداً في حين أن العدد الوسطي لضحايا القذائف المخترقة بلغ 2.2 نسمة. كان ثمة، أقله، أنموذج واحد لقذيفة إي اف بي قادر على اختراق دبابة آبرامز ثقيلة التصفيح.

كان الحرس الثوري الإيراني المتطرف قد طلب من منظمة حزب الله الإرهابية تولي جانب من تدريب عراقيين على استخدام هذه القذائف المخترقة، حسب المعلومات الاستخباراتية الأمريكية.

لو تم الكشف عن كل هذا أمام الملأ، لأدى ذلك إلى إشعال نار لا يقوى أحد على إطفائها. أولاً، كان من شأن فيض من الأسئلة أن تُطرح مباشرة عن نوعية المعلومات الاستخباراتية. ربما هي فضيحة أسلحة دمار شامل أخرى؛ من يدري؟ ثانياً، إذا كانت الرواية صحيحة، فإن ذلك يعني أن الإيرانيين كانوا يقتلون جنوداً أمريكيين – يشنون حرباً ظلت أولى بديهيات سياسة الجمهوريين الخارجية متمثلة بالعين الحمراء – لا مجال للمزيد من الضعف، لا مكان للمزيد من أمثال كارتر وكلنتون وعزوفهم المرضي عن استخدام القوة إلى أين كان من شأن ذلك أن يقود الجمهوريين في التعامل مع إيران؟

ثمة كانت مشكلة ثالثة. كانت كميات قذائف الإي اف بي المخترقة تتدفق على الجماعات الشيعية في الجنوب وبعض بغداد، غير أن مستواها النسبي لم يكن عاليه. لنفترض أن الإيرانيين درسوا الموقف وقرروا البدء بتزويد المتمردين السنة بالتكنولوجيا والخبرة والتجهيزات اللازمة بكميات كبيرة، جنباً إلى جنب مع الشيعة. من شأن ذلك أن يغدو موضوعاً مختلفاً كلياً.

استطلاعات الرأي أظهرت أن نحو 50 بالمئة من السنة يؤيدون التمرد. وبما أن السنة يشكلون 20 بالمئة من مجموع السكان، فإن ذلك يعني أن ما لا يقل عن 10 بالمئة من العراقيين – ما يزيد على مليوني نسمة – يتخذون مواقف مؤيدة للمتمردين.

في تموز/يوليو 2006. أطلعتُ رمسفلد على أنني فهمت أن عدد الهجمات كان متصاعداً.

قال: "قد يكون ذلك صحيحاً. ربما صحيح أيضاً أن بياناتنا أفضل، فنحن نصنف أشياء أكثر على أنها هجمات. أي غارة عشوائية قد تكون هجوماً وصولاً إلى قتل 5 شخصاً في مكان معين. وبالتالي فإن لديك قصعة فواكه كاملة ملأى بأشياء مختلفة— ثمة الموز والتفاح والبرتقال".

آثرت الصمت. حتى مع الاستخدام الأكثر تفلتاً وعبثا للغة وفن التشبيه، لم أستطع أن أفهم كيف استطاع وزير الدفاع أن يعقد مقارنة بين هجمات إرهابية من جهة و"قصعة فواكه" من جهة أخرى، في صورة مجازية جردتها تماماً من كل أثر لأي إلحاح

أو عاطفة. والأصناف الرسمية الواردة في التقارير السرية المصنفة التي درج رمسفلد على تلتيها بانتظام هي المتفجرات المحلية الفتاكة، هجمات المورتار عن بعد، والاشتباكات القريبة مثل الكمائن - بعيداً عن قرون الموز وحبات التفاح والبرتقال قدر الإمكان.

جاء رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال بيس ليؤكد أن "الهجمات متصاعدة لأن هناك من يريدون بقاء المكان عصياً على الإدارة وصولاً إلى إقناعنا بالرحيل لاستحالة الحكم فيسارعون إلى وارثتنا واستلام حكم البلد". ثم ما لبث أن أنهى مداخلته مضيفاً: "وهكذا فإنكم تستطيعون أن تتوقعوا بقاء الهجمات متصاعدة لأن كل يوم يعقد فيه رئيس الوزراء المالكي وبرلمانه اجتماعاً لاتخاذ سلسلة من القرارات هو يوم نحس بالنسبة إلى أولئك الذين يقفون وراء تلك الهجمات... إنهم في وضع يائس... إذا استمر عمل هذا البرلمان وإذا واصل رئيس الوزراء هذا عمله".

"مفهوم" قلت "ولكن هل هم يائسون؟"

"لعلها عبارة خاطئة" قال بيس.

"تكاد تبدو أشبه بتشيني" قلت "هل ترغب في سحب العبارة؟"

"بلى" قال بيس "أجدني ميالاً إلى سحبها. شكراً. أقدر ذلك. أقدر اللباقة".

سألت عن الانتصار وعن مدى إمكانية تحقيقه، فقال إن من شأن ذلك أن يتطلب ما هو أكثر من الأمن في العراق. من شأن الأمر أن يستدعي وجود حكم ذاتي وتحقق عملية إعادة بناء مادية للبلاد - جميع "خطوط العمليات" في خطة كيسي الحربية.

"هل سيتم هذا في حياتك؟"

"نعم، سيتم. حسناً آمل أن يتم، مؤكد، ليتني أعرف" قال. "لابد لي من سحب تلك الجملة. يمكن أن يحدث في حياتي".

"هل لديك أي شك حول كون قرار غزو العراق هذا صحيحاً؟"

"ليس عندي أدنى قدر من الشك. على الإطلاق. صفر".

"ألا تقضي العملية، مع ذلك، أن يساورك الشك على الدوام؟ أنا أعيش على الشك".

علق جنرال المارينز على ذلك قائلاً: "أشفق عليك".

أجبته: "لا تشفق علي أنا. إنها عملية رائعة".

"ليس عندي أي شك حول ما قد فعلناه" قال الجنرال. "نحن لم نفعل هذا. فيما كنا جالسين في بيوتنا عاكفين على الانشغال بأعمالنا، هوجمنا يوم 9/11."

هاكم إذن: "نحن لم نفعل هذا". ثمة نوع من الإحساس العميق لدى بعض كبير رسميي إدارة بوش بأننا لم نكن، بأي شكل، قد أشعلنا الحرب العراقية. كنا قد هوجمنا. بدا من الممكن وضع بن لادن، القاعدة، سائر القوى الإرهابية والمعادية لأمريكا الأخرى - سواء أكانت جماعات، بلداناً أم فلسفات - في سلة واحدة. لم تكن سوى حرب واحدة، الحرب الطويلة حرب الجيلين التي كانت جماعة بلتشلي - 2 وولفوفتز قد وصفتها بعد 9/11."

سألت رئيس الأركان بيس: "هل أنت متأكد من أنها الحرب الصحيحة في الوقت المناسب"

"نعم".

"في المكان الصحيح؟"

"بلى" مئة بالمئة" قال بيس. "نعم، جذرياً. قلت ذلك قبل أن نبدأ. وسأقول ذلك اليوم. قد لا يفاجئك أن تدرك أن أخذ معارك بلدي إلى بلد أعدائي، إلى ملعبهم هو ما يتوجب علينا فعله. ذلك هو السلوك الصحيح. من أجل حماية وطني، من أجل الوفاء للقَسَم الذي أقسمتُه، ومن أجل حماية أولادي وأحفادي وأولادك أنت وأحفادك، كان يتعين فعل ذلك؛ لا يساورني مثقال ذرة من الشك حول أننا فعلنا الشيء الصحيح".

في 26 أيار/مايو، بعد التقويم الاستخباراتي السري بيومين، أصدر البنتاغون تقريراً علنياً رفعه إلى الكونغرس بعنوان "رَوْز الاستقرار والأمن في العراق" كان هذا تقريراً ربعياً مطلوباً قانوناً. ومع أن جدولاً معيناً كان مدفوناً بين ثنايا صفحات الوثيقة سلطت أكثر الأضواء إيجابية على نقطتي الاستقرار والأمن.

جاءت صفحات المقدمة الأربع مترعة بالفرح. دون الإتيان على أي ذكر للأسباب الكامنة وراء جعل الصورة الأمنية أسوأ على نحو ملحوظ، كان التقرير يقول: "تواصل القوى المعادية للعراق - من متطرفين وإرهابيين - إخفاقها في حملتها الرامية إلى إخراج العملية السياسية عن مسارها ... وإلى إثارة حرب أهلية".

"تركز ما يزيد على 80 بالمئة من الهجمات الإرهابية على أربع فقط من محافظات العراق الـ 18،" قال التقرير، كما لو أن العنف كان قد تضاءل. تلك المحافظات الأربع، وبينها بغداد، تشكل 37 بالمئة من السكان.

حدد التقرير "معشر الرافضين العراقيين" بموالين للنظام السابق، صدّاميين من جهة وإرهابيين بمن فيهم القاعدة، من جهة ثانية. أضاف التقرير: من المحتمل أن تبقى قوة الرفض ثابتة طوال سنة 2006،" منسجماً مع ما ورد في التقويم الاستخباراتي السري. إلا أن تقرير البنتاغون تابع يقول إن "النزوع والاندفاع" الرفضيين "باتجاه أعمال العنف المستمرة سيبدآن بالتضاؤل في بدايات 2007." صراحة تناقض تقرير البنتاغون مع تقريره السري الصادر قبل يومين والقائل إن المتمردين والإرهابيين متوفرون على الموارد والإمكانيات اللازمة لـ "إدامة بل وحتى رفع المستوى الراهن للعنف خلال السنة المقبلة".

كان جون نغروبونتي مدير الاستخبارات الوطنية منذ أكثر من سنة. كان الرجل قادراً على الوصول إلى كل شيء، وكان يقابل الرئيس يومياً تقريباً. كان أحد القلة العارفة بالقدر الأكبر من المعلومات والأسرار حول تورط الولايات المتحدة في العراق. كان يعتقد، منذ بداية حركة التمرد في 2003، إن الإدارة كانت قد استخفّت بحجم الحركة وأخطأت في تقدير دوافعها. والأسوأ من ذلك هو أن الإدارة كانت مستمرة في ذينك الاستخفاف وسوء التقدير.

فالعنف الطائفي – المذهبي، وخصوصاً قيام الشيعة بقتل السنة وقيام السنة بقتل الشيعة، كان ينحدر نزولاً إلى أعماق المجتمع وصولاً إلى المجمعات السكنية المحلية والأحياء. كانت هذه ظاهرة جديدة مثيرة لقدر كبير من القلق والذعر. في آذار/مارس، بعد تفجير جامع سامراء، ثمة كان ما يزيد على 450 حدثاً عنفياً مذهبياً بلغ تعداد ضحاياها 1.800 عراقي. في الشهر التالي كان العنف قد تراجع إلى 330 حدثاً مع نحو 1.300 ضحية – أعداد كبيرة تكاد لا تُصدق.

تمثل السبب الأساسي بكون الوغد الأردني الزرقاوي، الذي كان قد أصبح زعيم القاعدة في العراق، قد نجح في تأليب بعض الشعب على بعضه الآخر. من نواح معينة كان الأمر أشبه بتوجيه لكمة إلى أحد الأشخاص في خَمّارة مزدحمة كانت بالصدفة ملأى بحشد من الأعداء الدائمين والتاريخيين. كانت الهجمات العشوائية على العرقيين والخصومة المذهبية التي طالما جرى صب الزيت على نارها قد تمخضت عن سلسلة من ردود الأفعال. بات العراق الآن أرضاً أكثر خصوبة للعنف المذهبي. كان الزرقاوي قد نجح في إيجاد تلك الأرض الخصبة.

لم يفاجأ نغروبونتي بمبادرة البنتاغون إلى إصدار تقارير متفائلة. كان ذلك طبيعياً. سبق له أن رآه في فيتنام. فمن شأن الجنرالات والمدنيين أو يسوّغوا الأمور ويلبسوها أثواباً من الشكر، مادحين أنصارهم ومصرين على أن هناك ضوءاً في آخر النفق.

غير أن إضفاء أثواب السكر على الأمور لم يكن من وظائفه. لم يكن ثمة الآن قدر كبير من العنف المذهبي في العراق إلى درجة تكون معها وحدات الجيش الأمريكي و أجهزة الاستخبارات عاجزة ولو حتى عن معرفتها أو رَوْزها، أفاد نغروبونتي في الختام. فالمشكلة الفعلية تمثلت بمدى عمى التحالف والولايات المتحدة وجملة أجهزة الاستخبارات في العراق.

من هو العدو؟ سأل نغروبونتي، طارحاً السؤال نفسه الذي سبق لنائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية جون ماكلوخلين أن تناوله قبل نحو ثلاث سنوات، حين توصل إلى استنتاج يقول بأن العدو خليط من بعثيين سابقين، مقاتلين أجانب مثل الزرقاوي، وطنيين وأبناء عشائر عراقيين استفزتهم العدوانية الأمريكية. خرج نغروبونتي علينا ببعض الأجوبة ذاتها – ثمة الصدّاميون، مثيرو الشغب والزرقاوي الذي ربما كان العنصر الأكثر أهمية. غير أنه ما لبث أن اكتشف تعذر الوصول إلى أي مكان على هذا الصعيد. كان السبب كامناً في قيام المصادرة البشرية التي كانت وكالة الاستخبارات المركزية قد جندتها بعكس الاستقطاب الحاصل في العراق. ما من أحد إلا وكان قد انحاز إلى طرف، وبات الاهتداء إلى أي مصادر عراقية محايدة أمراً بالغ الصعوبة. وبعد دراسة جميع الأمور وتحليلها، ما لبث اللغز أن زاد عمقاً بالنسبة إليه.

راح نغروبونتي يجول راوياً طُرَفة قديمة عن أميرال يسأل عالماً عن كيفية التعامل مع التهديد الذي تمثله الغواصات. يرد عليه العالم: "عليك أن تفكر بطريقة غَلْي المحيط إلى أن يصير بخاراً. سيؤدي ذلك إلى حل مشكلة الغواصات. سأترك لكم التطبيق".

عموماً، كان ثمة، برأيه، نوع من التحرك الميسّر النازل في الأشهر الستة الأولى من عام 2006. أما الآن، أوائل حزيران/يونيو، فمن الواضح أنه بات قادراً على رؤية أن سياسة الولايات المتحدة العراقية أصبحت في ورطة. حان وقت مواجهة الحقائق. بات الشيعة الطرف الفائز وانتهى الأمر. كان من شأنهم أن يهيمنوا. والمسألة الوحيدة هي كيف كانت الولايات المتحدة تستطيع أن تساعد على إخراج المسرحية – وهو أمر يختلف عن التحكم بها وبمضمونها. آن للأمريكيين أن يرفعوا أيديهم.

قال نغروبونتي همساً وراء الكواليس: "لو كان لدينا عشر سنوات لاستطعنا معالجة الموضوع بطريقة مختلفة. أنا متفق مع رمسفلد الآن بشأن عجلات التدريب. ليس أمامنا إلا أن نضطر إلى رفع أيدينا.

◎ ◎ ◎

رأت رايس أن من الضروري التحلي بالحذر فيما يخص تقليص حجم القوات. في الوقت نفسه أرادت أن تبدو مرنة مع أي حل سياسي من شأنه احتواء المتمردين وإشراكهم بالحكومة. غير أن ذلك يتعين عليه ألا ينطوي على أي تنازلات أو أي نوع من التواصل مع من سبق لأيديهم أن تلطخت بدماء أمريكية. ومع تزايد التمرد قوة والهجمات عدداً، بات ذلك أكثر صعوبة على نحو مطرد. بات أمراً شبه مستحيل.

ظلت رايس على الدوام سيدة الانجازات التي لا تعرف ولا تعترف بأي عقبات مستحيلة. قالت: "واجبنا هو أن نصحح هذا". وكلمة "واجب" انتصبت كالطود أمامها. "يقضي الواجب بأن نشق الطريق عبر غابة المشكلات التي تعترضنا".

كانت على نحو منتظم تتعرض للإحراج حول مزاعم الإدارة عن التقدم. وقد دأبت على القول رداً: "ما أجد قوله بالغ الصعوبة، ما أنا مؤمنة به بصدق هو أننا كنا متعيشين مع تقدم من ناحية وفوضى من ناحية ثانية جنباً إلى جنب، صحيح؟ وقد كان قبول ذلك صعباً بالنسبة إلى الناس. كانوا ميالين إلى الاعتقاد بأننا نراوغ". غير أنها كانت، في الحقيقة، تشعر بأن ما نحن بصدده هو خليط جامع فعلاً بين التقدم والفوضى. وتلك كانت مفارقة.

في تحليل رايس كان غزو العراق قد شكل تحدياً لمجمل البنية والقاعدة التسلطيتين القديمتين في الشرق الأوسط. لقد تعرض الشرق الأوسط القديم للتدمير وباب بناء نظام جديد مكانه أمراً ضرورياً. دأبت رايس على تذكير الناس بأن إحدى المسمات كانت تقول باحتمال بقاء فرنسا وألمانيا في حالة حرب دائمة. أما الآن فلا أحد يعتقد بأنهما ستتقاتلان من جديد إلى الأبد. فالحربان العالميتان أفضتا إلى تغيير المرتكزات الأساسية. من شأن ذلك أن يحصل أيضاً في الشرق الأوسط، ولكنه سيتطلب وقتاً. كان لابد للرئيس ومجلسه الحربي من أن يبين الطريقة المناسبة لإرساء القاعدة الجديدة.

جزء منها بدا متشوقاً إلى اليوم الذي يشهد انتهاء المشكلة، اليوم الذي تكون فيه خارج الحكومة.

قالت للرئيس: "أنا متأكدة من أنني بعد سبع أو ثمان سنوات سآتي لزيارتكم في كروفورد. وسنفكر: "كان علينا أن نفعل هذا أو كان علينا أن نفعل ذلك". أو سنبدو جميعاً سعداء، استعادياً. بسير الأمور مع التقدم في السن".

45

جاءت التقارير السرية لتؤكد بدقة ما كان تقرير استخبارات الأركان المشتركة قد تنبأ به واجماً في شهر أيار/مايو. مستويات أعلى فأعلى من هجمات المتمردين في العراق. خلال أسبوع واحد في أيار/مايو 2006، طارت الهجمات المعادية إلى 900، مسجلة رقماً قياسياً جداً. أما في حزيران/يونيو فقد تراجعت الهجمات إلى نحو825 في الأسبوع، غير أنها ما لبثت أن حلَّقَتْ من جديد(*).

بل هي جاءت لتفعل ما هو أسوأ من ذلك نظراً لأن مستوى العنف بقي على حاله بعد تكريس عامين كاملين على أعمال تدريب، تجهيز وتحويل 263.00 عسكري وشرطي عراقيين. بلغت الكلفة 10 مليارات من الدولارات، وكانت فرق أمريكية منخرطة في معظم الوحدات العراقية منذ أكثر من سنة. خلال فترة زمنية موازية عام 1971، وبعد سنوات من الفتنة، كان الخط البياني لأعمال العنف قد شهد هبوطاً، لا صعوداً. تمثل الاستنتاج البسيط بأن الاستراتيجية العراقية لم تكن موفقة، والتمرد كان قوياً وقابلاً للدوام.

(*)كان التقرير السري المصنف عن الحوادث الأمنية في أسبوع 16-2006/6/22، يوزع الهجمات ال825 تقريباً في ذلك الأسبوع على الأبواب التالية:

أ. عتفجرات محلية غير منفجرة، مكتشفة أو مفككة نحو 200.

ب. ألغام متفجرة، متفجرات محلية، عبوات معدلة متفجرة محمولة (عربات مفخخة) - أكثر من 200.

ج. اشتباكات - إطلاق نار أسلحة خفيفة، كمائن، إطلاق نار في الطريق، قنص، قذائف صاروخية وقنابل عادية - نحو100

د. هجمات عن بعد - مورتار، مدفعية، رشقات صاروخية، صواريخ أرض - أرض، صواريخ أرض - جو - نحو 100.

هـ. هجمات على السلطات العراقية - 150 تقريباً.

● **ملاحظة** مرفقة بجدول يبين تصاعد الهجمات العنيفة قالت إن الحوادث لم تشمل "ردود لفعل على أفعال التحالف مثل عمليات التمشيط" الإغارة على الأمكنة المشبوهة، ضبط لأسلحة أو اعتقال مستهدفين دوي أهمية.

ذهب ستفن هيرتبس لتناول سندويشة مع رمسفلد في البنتاغون يوم الأربعاء، 16 حزيران يونيو.

قال هيرتبس إن مقالة الرأي الأهم في العام ربما كانت تلك التي ظهرت في النيويورك تايمز الشهر السابق بقلم السناتور جوزف آر بايدن الابن، الديمقراطي الديلاويري والعضو البارز في لجنة مجلس الشيوخ للعلاقات الخارجية، ولَسْ غَلْبْ، الرئيس السابق لمجلس العلاقات الخارجية.

راح رمسفلد يسجل ملاحظات.

كان بايدن وغلب قد اقترحا خياراً بين مواصلة المسيرة إلى أجل غير مسمى وإعادة القوات الأمريكية وفق نوع من أنواع البرنامج الزمني، قال هيربتس. كان من شأن هذا أن يتم عبر تأسيس ثلاثة أقاليم مستقلة ذاتياً إلى حد كبير، واحد لكل من الأكراد، الشيعة والسنة، الذين كانوا سيعتمدون قوانينهم الداخلية الخاصة ويضطلعون بالمسؤولية عن الأمن في أقاليمهم. أما الحكومة المركزية في بغداد فكانت ستتولى التحكم بأمن الحدود، المسؤولية الخارجية وموارد النفط. كان العراق قاطعاً شوطاً باتجاه التقسيم وكانت هذه البنية الاتحادية المرنة لثلاث دول عراقية تتطور تلقائياً.

أضاف هيربتس أن المفهوم الراهن لشرطة وطنية موحدة لم يكن ناجحاً على الإطلاق، وكانت الميليشيا المذهبية متزايدة القوة والعنف. عشرات الآلاف من العراقيين راحوا يهاجرون طوعاً إلى أقاليمهم العراقية، وصار التصويت بالأقدام أكثر أهمية من أي انتخابات مطنطنة. كانت الأحداث قد بدأت بأخذ العراق في هذا الاتجاه وربما يأتي وقفها عند هذا الحد متعذراً. كان بوسع سياسة الولايات المتحدة احتضانها بنجاح. ثم لاحظ أن هذا كان هو الاستنتاج الذي توصل إليه كتاب قريب الصدور من تأليف بيتر دبليو غالبريث، وهو خبير بشؤون العراق منذ عقدين، بعنوان نهاية العراق.

واصل رمسفلد تسجيل الملاحظات، محجماً عن التعبير عن الموافقة أو المعارضة.

اقترح هيربتس تشكيل فريق ألف وفريق باء حول الاحتمال. وليقدم كل منهما خطاباً لمدة 30 دقيقة بما يجعل لغة كل طرف وقضاياه مألوفة لأن ذلك كان من شأنه أن يصبح بؤرة الجدال. "إنها استراتيجية خروج، قال هيربتس للوزير" ولم تكن الإدارة متوفرة، صراحة، على أي استراتيجية خروج قابلة للتنفيذ. "من شأنها أن تكون خطة

تستطيع هذه الإدارة أن تتبناها باسم الحرية وتقرير المصير. وتستطيع أن تطلق عليها اسم انتصار".

كانت الولايات المتحدة لا تزال تسجل النقاط وتصدر البيانات عن أعداد القتلى. داخل العراق أصبح مؤشر آلة القتل الأمريكية الكبرى وإثارة الضجيج حول الإحصاءات الأخيرة لجثث القتلى من أدوات تجنيد المتمردين. كانت الحقائق الميدانية تؤكد، نظراً لأن المتمردين لم يكونوا يرتدون أي أزياء موحدة وكانوا يعيشون بين السكان العاديين، أن بعض القتلى، وربما نسبة مرموقة منهم، كانوا مدنيين أبرياء. كذلك ظلت إحصاءات جثث القتلى تذكّر العراقيين بأنهم يعيشون في ظل الاحتلال. ثمة خبراء في شؤون محاربة التمرد والإرهاب يقولون إن إحصاءات الجثث توفر معياراً زائفاً للنصر، ويوردون مثال الحرب الفيتنامية حين خسرت فيتنام الشمالية، وهي الجهة المنتصرة، نحو مليون نسمة، بالمقارنة مع الولايات المتحدة التي كانت عدد قتلاها قد بلغ 58.000.

غير أن الرئيس بوش بقي معروفاً بالبطاقات الإحصائية. محاضر اجتماعات مجلس الأمن القومي في الأيام التي أعقبت هجمات 9/11 الإرهابية تكرر إظهار بوش سئلاً عن بطاقة إحصائية، أسلوباً من أساليب رَوْز فعالية الحرب على الإرهاب. في 10 تشرين الأول/أكتوبر 2001، ذهب بوش إلى مقر قيادة مكتب التحقيقات الاتحادية (الاف بي آي: FBI) وأماط اللثام، شخصياً، عن قائمة "أخطر الإرهابيين المطلوبين" الـ22 التي كانت تشمل على اسم بن لادن. حصل على نسخة سرية مصنفة عن القائمة مع الصور وسير الحياة الموجزة والتوصيفات الشخصية للإرهابيين الـ 22 ودسها في أحد الأدراج بالمكتب البيضوي. وما إن كان أحد من وردت أسماؤهم في القائمة يُقتل أو يعتقل، حتى كان يسارع شخصياً إلى رسم إشارة "x" عبر الصورة. بكثير من الاعتزاز أبرز بوش بطاقته الإحصائية عن الإرهاب خلال مقابلة معه في المكتب البيضوي بتاريخ 20 كانون الأول/ديسمبر 2001. وخلال إحدى المقابلات في مزرعته بكروفورد بتاريخ 20 آب/أغسطس 2002، قال "إن البطاقة الإحصائية مهمة لأنني أريد أن يعرف الناس أن عناك تقدماً".

كان ضبط النفس بالنسبة إلى الرئيس، إذن، صعباً خلال الحرب العراقية. كان رمسفلد، رايس وكارد قد نبهوه محذرين من إحصاءات الجثث، غير أنه أراد أن يعرف، أراد البيان الإحصائي عما كان يراه سلسلة معارك منفصلة. "قتلوا ثلاثة منا. كم قتلنا

نحن منهم؟" كان ذلك يصبغ تصريحاته العامة بالدم. ففي خطاب إذاعي يوم 1 تشرين الأول/أكتوبر 2005، مثلاً لاحظ أن أحد مؤشرات النجاح تمثل بـ "مقتل مئات المتمردين والإرهابيين".

رمسفلد أيضاً لم يقاوم الإغراء متجاهلاً نصيحته بالذات. ففي 11 تموز/يولو 2006، بمؤتمر صحفي مع الرئيس الأفغاني قره ضايي، قال وزير الدفاع: "إذا نظرتم إلى أعداد الإرهابيين والطالبان والقاعدة الذين يُقتلون كل شهر، فسيكون من الصعب عليهم أن يزعموا أن قوات التحالف وقوات الأمن الأفغانية خاسرة".

بعد تسعة أيام ذهبتُ لإجراء مقابلة مع الجنرال بيس، رئيس هيئة الأركان المشتركة. أكد أن إحصاء الجثث كان خطأ أحمر بالنسبة إليه. غير أنه بقي رهن مشاعره القوية المطلقة المؤكّدة لكون إحصاءات الجثث معياراً زائفاً للنجاح، يتلقى من الرئيس بوش أسئلة عنها. قال بيس "طلب الرئيس ذات مرة التماساً للنكهة فاترة القتلى من الأعداء، مضيفاً أن أحد الجنرالين أبي زيد أو كيسي كان "يزوده بالرقم العائد لتلك المعركة" عبر الاتصال الفيديوي الآمن.

"إن الرئيس يريد أن يعرف أننا نقوم بتدمير الزبون الآخر. تلك هي الصورة في الحقيقة. غير أنها ليست..... تكراراً..... ليس عيباً أن تكون القيادة راغبة بين الحين والآخر في معرفة أننا نعطي ما هو أفضل بما لا يقاس مما نحصل عليه". ثم أضاف إن أبي زيد متفق معه على عدم جواز استخدام إحصاءات الجثث، قائلاً: "جون وأنا متفقان كلياً. إنه جندي جيد ويفهم الشيء نفسه بدقة".

ولكن الرئيس بقي حتى صيف 2006 مصراً على مواصلة السؤال. قال بيس: "يرضيني أن يكون الرئيس مطلعاً على حقيقة موقفي من إحصاءات الجثث بدقة".

بعد ثلاثة أيام من مقابلتي لبيس، مثلاً، وضع مقر قيادة كيسي تقريراً بعنوان: "القوات العراقية المدعومة بقوات التحالف تقتل 15 إرهابياً". لم يكن تحذير بيس من أعداد الجثث سوى أنموذج آخر لنصيحة جرى ضربها عرض الحائط. لم يكن إلا دليلاً آخر على أن الجندي الأول في الولايات المتحدة كان قد خسر على الرغم من أن الأمر كان يشكل تذكيراً بأشباح فيتنام وعذاباتها. إن تلبية حاجات الرئيس العاطفية والسياسية كانت، على ما يبدو، أكثر أهمية.

في تموز/يوليو 2006 أجريتُ مقابلة مع رمسفلد في يومين متتاليين، بعد الظهر. رداً على سؤال حول المعركة مع حركة التمرد العراقية، قال: "يمكنها أن تدوم 8 إلى 10 سنوات. حركات التمرد تميل إلى أن تفعل ذلك". إجمالاً، أضاف: "تقضي إستراتيجينا للخروج بتمكين العراقيين من امتلاك حكومة وقوة أمنية قادرتين على إدارة تمرد متدني المستوى وصولاً آخر المطاف إلى الانتصار عليه وقمعه مع الزمن. ولكن ذلك سيتطلب فترة بعد إخراجنا لأعداد كبيرة من الناس من هناك".

قلت إنني علمت أن الجنرال كيسي تحدث عن أن التمرد لم يكن قد تم تحييده - وهو أحد الأهداف المركزية لخطته - بل جَرَّبَ احتواؤه فقط. بعد شيء من المبارزة اللفظية، تمكنت من أن أسأل مباشرة: "هل أنت موافق على أنه لم يُحيد؟"

"ماذا؟ أعني، لا بوضوح" رد رمسفلد

"فقط تم احتواؤه؟"

"بلى" قال، مضيفاً "حتى اللحظة".

ثم قرأت من تقويم أيار/مايو 2006 الذي كان يقول: "تمرد العرب السنة يزداد قوة ويتعاظم قدرة". وسألته: "هل ترى ذلك صحيحاً؟"

ثمة كان أحد الأسئلة المركزية في أي حرب. هل كان الطرف المقابل "متزايد القوة ومتعاظم القدرة"؟ على نحو قاطع كان كل من كيسي، جهاز مخابرات الأركان المشتركة، ووكالة الاستخبارات المركزية قد قال إن التمرد فائز. من المؤكد أن رمسفلد كان يعرف ذلك. كذلك اقتبست من التقويم في قائمة 29 سؤالاً أنموذجياً كنت قد قدمتها سلفاً، وأنا أعلم أنه قد صرف أقله ساعة من الوقت استعداداً للمقابلة قبل يوم.

"متى كان هذا؟" سأل رمسفلد.

أجبته: "قبل ستة أسابيع". كان السؤال المطروح على الطاولة هو ما إذا كان موافقاً على أن التمرد في العراق فائزاً أم لا. كنت مستعداً للخطة رمسفلدية خالصة، ولم أُحبط.

"ومن قال إني أعرف، بحق السماء!؟" قال وزير الدفاع رداً على السؤال. "لا أريد أن أعلق على الأمر. ما أكثر ما أقرأ من تلك التقارير الاستخباراتية!" - لم يكن قد سبق لي قط أن قلت إنه كان تقريراً استخباراتياً - "وهي مبعثرة هنا وهناك في طول المكان وعرضه. في يوم معين يمكنك أن ترى شيئاً صادراً عن جهاز معين وشيئاً عن جهاز

آخر، ثم أسأل كيسي أو أبي زيد عن رأيهما، أو أسأل بيت بيس: "هل ذلك هو رأيك؟" وأحاول التثليث لأقف على رأي الناس. غير أن الأمر يتغير من شهر إلى شهر. لن أعيد إلى الخلف لأقول إني موافق أو غير موافق على شيء شبيه بذلك".

كان علي صواب في القول باحتمال حصول تغيرات معينه من شهر إلى آخر، غير أن التقويم والتوجه الإجماليين كانا، كما كان يعلم، أسوأ على نحو ملحوظ، قابل للقياس ومسرحي مثير.

بعد ذلك اقتبست من خطاب كان رمسفلد قد ألقاه في وقت سابق من السنة في مكتبة ترومان الرئاسية باندينبندس الميزورية حين روى بعض القصص عن ترومان قائداً متصدياً لوزير خارجية الاتحاد السوفيتي. هل كان قادراً على تذكر أي لحظات مهمة ومشهودة برز فيها بوش قائد زمن حرب؟

"ما أحاول أن أفعله معه هو أن أضع نفسي مكانه، أن انتعل حذاءه، وأقول: ما الذي قد أكون راغباً في معرفته؟" قال رمسفلد. ثم راح يصف نفسه - لا بوش - قائد زمن حرب عاكفاً على العمل مع فرانكس لإبقاء الرئيس مطلعاً على العناصر الموضعة لتحديد الأهداف المرشحة للقصف في العراق. على الرغم من أن السؤال كان عن بوش، فإن رمسفلد أصر على وصف مدى ارتياح الرئيس إزاء كل هذا الحرص في عملية اختيار الأهداف، ومدى تحلي رمسفلد وفرانكس بـ "مقاربة عقلانية وعلى أعلى درجة ممكنة من الإنسانية والفعالية من منطلق إنقاذ الأرواح الأمريكية".

سألته: "هل تستطيع أن تتذكر أي لحظات من قيادية بوش في فترة ما بعد الحرب؟"

راح بعد السؤال يصف كيف كان قد أرسل: "ثلاث أو أربع فرق تقويمية، - واحدة كل ستة أشهر تقريباً - إلى العراق لـ "إلقاء نظرة على عملنا".

قلت: "مصر أنا على العودة إلى هذه النقطة، نقطة الرئيس قائد زمن حرب، لأن تلك هي القضية هنا".

رد رمسفلد: "إنه شخص جيد. إنه شخص جيد جداً. أنتم تراقبونه، وأنا لا أعرف تماماً كيف يتصرف. هنا في هذه الوزارة نتحرك عبر طيف كامل مؤلف ربما من 180 درجة. أما هو فيدور 360 درجة. ينتقل من بحوث خلايا الجذع إلى الهجرة ثم إلى 5- مسألة أخرى في يوم محدد. والمادة التي نغمره بها على نحو منتظم إنّ هي إلا مادة

معقدة. إنها جديدة. وهو يعتمد تقنية شديدة الفعالية... يظل دائباً على قذف الأسئلة رشّاً سؤالاً بعد سؤال بعد سؤال".

كنت بصدد الحصول على وصف كامل للأسلوب الرمسفلدي.

تابع رمسفلد كلامه قائلاً: "إنه بدأ يكتشف الناس ويروزهم ويرى كيف يعالجون تلك المسائل ويردون على تلك الأسئلة ومدى معرفتهم بالأمور وهوية من يعوّلون عليهم في حل المسائل. ثم يصل في الختام إلى مستوى الثقة ويبادر إلى تطوير القدرة على معرفة مدى رغبته في معرفة مقاييس أرسان الناس المختلفين".

"وما طول رَسَنك أنت؟" سألته.

"ما هذا؟ رحماك اللهم" رد الوزير "لا تسلني"

"أنا أريد".

"لا. ليست لدي أي فكرة". قال رمسفلد.

من المؤكد أن الوزير كان واثقاً من أن بوش قد أرخى له رسناً طويلاً جداً.

"هل تشعر بشيء من اللجم أحياناً؟"

أحجم عن الإجابة.

ماذا عن القول إن تشيني نائب رئيس كلي النفوذ متحكم بالرئيس؟

"إنه هراء" قال رمسفلد. "من الواضح أن بينهما علاقة جيدة. يمكنك أن تشعر بها في الغرفة. ولكن الرئيس هو الرئيس، ولا مجال لأي شك حول ذلك. ونائب الرئيس ليس مشوشاً ولو قليلاً حول هذا الشأن. فتناوله للأمور حين يكون الرئيس في الغرفة تناول مثالي، برأيي، بمعنى أنه لا يتخذ مواقف متشددة وقوية حين يكون الرئيس في الغرفة، مواقف قد تبدو متناقضة مع مواقف الرئيس... وهو يطرح أسئلة وجيهة. غير أنه لا يحصر الرئيس في الزاوية أو يحاول تجريده من خياراته".

كان هذا تعليقاً كاشفاً. تساءلت: كيف كان يمكن لأسئلة تشيني أو تعليقاته أن تحصر الرئيس في الزاوية أو تجرده من خياراته؟ إذا كان الزعم القائل بأن تشيني كان كلي النفوذ زعماً باطلاً فإن من غير المحتمل أن يكون في وضع يمكّنه من القيام بأي من الأمرين: أمري الحصر في الزاوية والتجريد من الخيارات.

عبر رمسفلد عن اعتقاده بأن تشيني صريح مئة بالمئة مع بوش عندما يكونان في خلوة. "إنه يعلم أن أحد أثمان القرب من الرئيس هو الاستعداد لتحمل العبء المترتب على ضرورة مكاشفته بالحقيقة".

سألت رمسفلد عن السيناريو الأفضل والأكثر تفاؤلاً لمحصلة إيجابية محددة في العراق.

رد قائلاً: "إن العملية بشعة. إنها قاسية ووعرة. ليس ثمة ما هو "الأفضل". إنها طويلة، طويلة وقاسية، كتبت، أعتقد، قبل سنوات. نحن في مواجهة تحديات مختلفة عما يفهمه بلدنا... إنها مختلفة عما يفهمه كونغرسنا. إنها مختلفة عما تفهمه حكومتنا، جزء كبير من حكومتنا، ربما، وهي غير منظمة أو مدربة أو مجهزة لمواكبتها ومعالجتها. نحن نتعامل مع أعداء يستطيعون أن يتسربوا إلى أعماق دوائر اتخاذ القرار عندنا". أضاف أن الأعداء يستطيعون أن يتحركوا بسرعة. "ليس لديهم برلمانات وأجهزة بيروقراطية وعقارات يدافعون عنها ويتفاعلون معها أو يجارونها. يستطيعون أن يفعلوا ما يحلو لهم. لا يحاسبهم أحد إذا كذبوا أو قتلوا أناساً أبرياء، جموعاً بريئة من الرجال، النساء والأطفال.

"ثمة شيء في الكيان السياسي للولايات المتحدة يجعلها قادرة على القبول بتورط الأعداء في جريمة قتل الأبرياء من الرجال، النساء والأطفال وقطع رؤوسهم، مع بعاء طاقتهم على تحمل اقتراف أحد الجنود أصغر مخالفة عند نقطة الصفر".

سألته: "هل أنت متفائل؟"

نظراتُ رمسفلد اخترقتني؛ ظل يتابع التحديق. ثلاثة من مساعديه الذين كانوا معنا على الطاولة في مكتبه لم يستطيعوا إلا أن يسجلوا استغراباً إزاء بقاء رمسفلد مخترقاً إياي بنظرته دون أن يرد.

واصل الكلام قائلاً: "نخوض أولى حروب التاريخ في القرن الجديد، ومع كل هذه الوقائع الجديدة، مع تنظيم عصر صناعي في بيئة لم تتكيف ولم تتعدل بعد، بيئة عامة لم تتكيف ولم تتعدل".

من الواضح أن رمسفلد كان منزعجاً من جملة أشياء بينها قرار المحكمة العليا قبل أسبوع في قضية **حمدان ضد رمسفلد** الذي قضى بإلزام إدارة بوش، عملياً، باحترام حقوق مشبوهي الإرهاب المحتجزين في خليج غوانتانامو، كوبا، من حيث تؤيل

المحامين والخضوع لمحاكمات أصولية. كان رمسفلد يرى أن هؤلاء كان يجب استجوابهم وإلقاؤهم في الحجز لمنعهم من العودة إلى ساحات القتال. شكل قرار المحكمة ضربة كبيرة لفكرة إدارة بوش حول مواصلة الحرب على الإرهاب. في القرار الذي اتُّخذ بـ 5-3، قالت المحكمة إن على الإدارة أن تخضع للإجراءات الأصولية.

قبل بضعة أشهر كان رمسفلد، في 1 أيار/مايو قد وزع مذكرة سرية مؤلفة من ست صفحات اقترح فيها بعض الضوابط، بعنوان "مؤسسات ومقاربات توضيحية للقرن الـ 21."

ربما كانت تلك الطبعة الأخيرة لمذكرات "سلسلة الربط" التي كان قد كتبها في الأشهر الأولى من توليه منصب الوزارة سنة 2001 – صرخة صادرة من أعماق قلبه البيروقراطي والإداري. لم تكن وزارة الدفاع مشبوكة وحدها بسلسلة ربطها الخاصة وحدها، بل وكانت الأجزاء الباقية من حكومة الولايات المتحدة والعالم مشبوكة هي الأخرى.

مثله مثل كارد، كان رمسفلد حساساً إزاء تهمة عدم الكفاءة. أملى يقول: "يتعين على تهمة عدم الكفاءة الموجهة ضد حكومة الولايات المتحدة أن تكون سهلة الدحض إذا فهم الأمريكيون مدى تسبب نظام الإدارة الراهن في جعل الكفاءة قريبة من الاستحالة.

في نهاية المقابلة الثانية اقتبست من وزير الدفاع الأسبق روبرت ماكنامارا قوله: "أي قائد عسكري صادق معك سيعترف لك بأنه اقترف أخطاء وأزهق أرواحاً".

"هم م م م ا م م .."، غمغم رمسفلد.

"هل هذا صحيح؟"

"لا أعرف. أفترض أن أي قائد عسكري.."

"وأنت واحد" قاطعته.

لا، أنا لست قائداً عسكرياً". حسم الوزير.

"بلى، أنت قائد، سيدي" قلت.

"لا، قطعاً لا. ولكن.."

"بلى، وألف بلى" قلت له رافعاً يدي في الهواء راسماً إشارة التراتب. "إنك قائد عام، وزير للدفاع، قائد ميداني".

"يمكنني أن أرى قائداً عسكرياً في زي موحد منخرط في صراع ملزَم باتخاذ قرارت تتمخض عن حياة الناس أو موتهم، ذلك هو القائد العسكري. من المؤكد أنك

إذا ارتفعت مع التسلسل إلى الطرف المدني حيث الرئيس وأنا، فإنك تستطيع أن تحكم، على نحو غير مباشر، وبمسافة خطوتين أو ثلاث، أن كلامك صحيح".

غير مباشر؟ **بمسافة خطوتين أو ثلاث؟** تعابير غير قابلة للتفسير. كان رمسفد قد كرس وقتاً طويلاً جداً على تسلسل القيادة. كان متحكماً - كان هو بالذات - لا رؤساء الأركان المشتركة، لا العسكريون ذوو البذات، لا جهاز مجلس الأمن القومي أو مجلس الأمن القومي نفسه، لا المنتقدون وأصحاب الرأي - صاحب الأمر والنهي، صاحب القول الفصل. كيف استطاع التعامي عن دوره ومسؤوليته؟

لم أستطع أن أفكر بأي مزيد يمكنني أن أقوله.

◎ ◎ ◎

في 11 كانون الأول/ديسمبر، كنت قد أجريت مقابلة مع الرئيس بوش وحصلت على فكرة عن أسلوبه وعادته في الإنكار. كان ذلك بعد ثمانية أشهر من الغزو ومن عدم العثور على أسلحة الدمار الشامل.

"ماذا عن أسلحة الدمار الشامل؟" سألته.

"مؤكدة" رد الرئيس.

أحد رؤسائي في **الواشنطن بوست** كان قد اقترح أن أسأل: "هل تعرض الرئيس للتضليل...؟" "لا" قال بوش.

تابعت السؤال: "من قبل المخابرات، أم أنه قام هو نفسه بتضليل البلد؟"

"لا".

"لا. مفهوم". كررت الجواب.

"الجواب هو لا بالمطلق".

"ما الذي حدث؟" سألته.

"ماذا تعني بماذا حدث؟" سأل بوش بنبرة تنم عن أنه لم يكن هو ذلك الذي ألقى كل تلك الخطب عن أسلحة الدمار الشامل.

رحت أفسر "على صعيد أسلحة الدمار الشامل وقصة "الخبطة العشواء".

قال الرئيس إن تقرير مفتش الأسلحة ديفد كي الأولي جاء مؤيداً لفكرة امتلاك صدام برامج أسلحة. أعتقد أنه من المبكر جداً فهم مجمل التاريخ على نحو شامل. إنها قصة استخبارات، أشار بوش.

قلت: "أفهم ذلك. ليست حقائق".

"كانت معلومات استخباراتية" معلومات استخباراتية على درجة من الرسوخ كانت كافية لقيام الأمم المتحدة باعتماد سلسلة قرارات. معلومات استخباراتية على درجة من الرسوخ كافية لقيام الرئيس بل كلنتون باتخاذ قرار عسكري بشأنها" إذ أمر بقصف مواقع أسلحة الدمار الشامل العراقية المشبوهة في 1998.

علقتُ: "غير أننا لم نعثر على أي أسلحة دمار شامل".

"لقد عثرنا على برامج أسلحة قابلة لإعادة الهيكلة".

"ممكن، أنا موافق".

"أي سلاح يمكن أن يُجهز بسرعة. ولذلك، ومن هذا المنطلق، وإن كان ما لديك هو الحد الأدنى لا أكثر، فإن من المستحيل ألا تبادر إلى التحرك ضد صدام حسين، نظراً لطبيعته". قال بوش.

حدثتهُ عن أنني فاتحت أمريكيين، خلال جولة لي على مختلف أرجاء البلاد، باتوا يرون، بعد أن كان، في أعقاب 9/11، الناطق باسم الواقع والحقيقة معلناً أن الهجوم كان هجوماً كارثياً، أن الإرهابيين كانوا قتلة وأن أمريكا باتت قلب المعركة، أن عزوفه عن الاعتراف بعدم العثور على أي أسلحة دمار شامل بدأ يحرمه من أن يكون صوتاً ناطقاً باسم الحقيقة والواقع.

"أنا أخالف ذلك، اعترض على ذلك البنيان". رد بوش.

"واضح".

"كان صدام حسين يملك أسلحة، استخدم أسلحة".

"بالتأكيد".

وقد خبأ أسلحة. خبأ أنظمة. كان لديه مخططات،" تابع بوش. "هكذا، وبسبب ذلك، فإن صوت الواقعية لا يستطيع إلا أن يزيح جانباً عما نحن فيه. إنه موقف واقعي".

"أضف إلى ذلك، أننا لم نعثر عليها بعد". قلت رداً.

ضحك بينه وبين نفسه ضحكة خفيفة وقال: "من وجهة نظري أنا، لا أريد أن يقل الناس: "ألم نقل لك ذلك؟!" أريد أن يعلم الناس أن هناك سيرورة مستمرة، عملة جارية على قدم وساق في جزء بالغ الخطر من العالم. وهكذا بكل صراحة، لم أسمع شخصاً واحداً يقول ذلك لي، أما أنت فتتحرك في أوساط مختلفة عن الأوساط التي أتحرك أنا فيها. أوساط أكثر نخبوية بما لا يقاس".

أقريت بأن الذين كنت أتحدث عنهم كانوا من أصحاب الأعمال.

"إن الواقعية هي القدرة على فهم طبيعة صدام حسين، تاريخه، أذاه المحتمل لأمريكا".

"من الواضح أننا لم نعثر على أي مراجل في حالة غليان".

"جميل". قال الرئيس وهو يضحك بينه وبين نفسه.

"ولكن تقرير الحالة، عن الأشهر الستة أوالسبعة، يقول إننا لم نعثر على أي أسلحة. ذلك هو كل شيء". اندفعت مرة أخرى.

"صحيح، صحيح، صحيح".

"كان اعتراف بوش المجرد بحقيقة أننا لم نكن قد عثرنا على أي أسلحة دمار شامل قد تطلب خمس دقائق وثماني عشرة ثانية من الوقت.

قال الرئيس: "إن الشخص الذي يريد من الرئيس أن يقف ويعلن ذلك على الملأ هو شخص يريد أيضاً أن يقول: كان ينبغي لذلك ألا يحصل". ثم أضاف "ربما أبدو دفاعياً على نحو غير معقول فجأة".

أبلغته بأنني كنت سأتعامل مع ما قاله في كتابي عن قرار الغزو، المنتظر صدوره في 2004.

سألني: "ما الذي يدعوك إلى تناول هذا في الكتاب؟ ما علاقة الأمر بكل ما يجري؟"

قلت له إنه كان متوجباً علي أن أتناوله لأنه قضية مهمة.

لاحقاً أراد أن يتأكد من أنني فهمت شروط المقابلة - تعليقاته كانت للكتاب لا للمقالة في الواشنطن بوست. "بعبارة أخرى" لن أقرأ عنوانا يقول: "بوش يقول: لا أسلحة".

وعدته بالانتظار.

بحيوية تذكرت كيف كان قد قال لي في مقابلة سابقة: "على أي رئيس أن يكون المتلس في العمود الفقري". فخطابه عن عراق ما بعد الحرب كان خارجاً مباشرة من رحم لغة "الكلس في العمود الفقري" تلك. وكل الكلام المشرق والنزوع التفاؤلي الأبديين - عن "مهمة منجزة" عبر "الثبات على الخط" و"حين يتقدمون، نتراجع،" وإعلاناته عن تصميمه على الالتزام بالخط نفسه ولو لم يؤيده سوى السيدة الأولى وكلبه، الحديث عن المنعطفات والزوايا الانعطافية، والأشواك الموحية بأن كل من يشكك بإستراتيجيته في العراق لم يكن داعماً للقوات المسلحة بل كان يريد من أمريكا أن "تقطع وتهرب" أو "تستسلم للإرهابيين - لم يكونا إلا اللعبة نفسها، مكررة المرة تلو الأخرى. كانت استراتيجيته قائمة على إطلاق بيانات تفاؤل متكررة وتجنب إضافة أي شكوك.

لدى القيام بالأبحاث وكتابة المواد لمسلسل صحفي في **الواشنطن بوست** وكتابيّ السابقين عن قراري بوش الحربيين، أجريت مع الأخير أربع مقابلات - كانون الأول/ديسمبر 2001، آب/أغسطس 2002، وأخيراً مرتين في كانون الأول 2003. بلغ حجم المادة المفرغة من مجموع اللقاءات التي دامت سبع ساعات ونصف مئات الصفحات.

تلك كانت الأيام التي كان فيها بوش رئيساً ذا شعبية - ما بعد 9/11، وخلال الأشهر التسعة الأولى التي أعقبت غزو العراق لاحقاً. مع تواصل الحرب جرجرة، استمرار موت الأمريكيين والعراقيين، وتهاوي معدلات تأييد بوش على نحو مسرحي مثير في عامي 2005 و2006، تلاشت أيضاً فرص حصولي على مقابلة أخرى معه.

لم أكف عن السعي للحصول على فرصة للتحدث مع بوش. في شباط/فبراير 2006، قال بارتلت إنه وهادلي كانا راغبين في مواصلة مساعدتي ولكن الرئيس ربما لم يكن راغباً في إجراء أي مقابلة. أجريت مقابلات مع أعضاء بارزين في الإدارة مرات كثيرة واستعرضت آلاف الصفحات من الوثائق. ومع حلول صيف 2006، كان رمسفلد قد تحدث معي في جلستين مسجلتين عصريتين، أما بارتلت وهادلي فقد التزما الصمت اللاسلكي ولم يكونا مستعدين للرد على اتصالاتي الهاتفية.

في وقت مبكر يعود إلى 2005، كنت قد علمت أن هادلي بات ميالاً إلى الوقوف ضد أي مزيد من تعاون البيت الأبيض معي. كان يعلم أن القضايا والأحداث التي كنت دائباً على متابعتها وأنواع الأسئلة التي كنت أطرحها: ما الاستراتيجية المعتمدة للانتصار في العراق؟ ألم يلاحظ أحد في البيت الأبيض أن التصرفات المطبقة على

الأرض في الأشهر التي أعقبت الغزو كانت مناقضة مئة بالمئة للخطة التي كان بوش قد أُطلع على خلاصتها؟ ما الذي كان رمسفلد يقوله لبوش؟ ما الذي كان تشيني يقوله لبوش؟ ما الذي قرره بوش؟ ما الذي أهمله؟ متى بدأت الإدارة تدرك أنها بصدد التعامل مع مهمة تاريخية بالغة الضخامة والأهمية، وأن المعركة الرئيسة لم تنته؟ متى وقفت على حقيقة احتمال عدم العثور على أي أسلحة دمار شامل في العراق في أي وقت من الأوقات؟ هل الأمور في العراق جيدة كما يواصل كبار المسؤولين المدنيين والعسكريين الزعم بإصرار على رؤوس الأشهاد؟

في تشرين الأول 2005 قال هادلي لأحد الزملاء ساخراً: "ما يتردد في عقلي يسي بأن هذا لن يكون إلا عظيماً. أفاد بأن كتابي عن عراق ما بعد الحرب كان سيُنشر في 2006، بعد كتاب جري بريمر. "وبالتالي فإننا سنرى أن هذه ستكون قضية. سندخل في انتخابات 2006 البرلمانية مع سجالات محمومة حول كل من سيقول سياسياً: "أنا ضد مع الإدارة. ما كنت لأريد التورط في العراق، غير أنني كنت أرى أن القضية كنت مهمة. لو كانت الإدارة قد وضعت خطة وتحلت بأي قدر من الكفاءة لبقيت مؤيداً لها غير أن من الواضح أنها لم تفعل. هذه إدارة مفتقرة إلى الكفاءة. يبقى العراق القضية الأهم. أنا داعم للقوات المسلحة. أتفهم مدى أهمية الرسالة أو المهمة، غير أننا أصبحنا، نظراً لعدم كفاءة الإدارة، كما بات واضحاً من كتابي بريمر وودورد، مضطرين لإزاحة الجمهوريين وإعادة القوات إلى الوطن. أعني، أن هذا سيكون مرعباً حقاً".

تنهد هادلي. فيما بعد، عاد إلى التقاط طرف الموضوع من جديد، وراح يقول لزميلة: "يتعين علي أن أساعد هذا الرئيس في عبور ما ستكون فترة ثلاث سنوات بلغة الوعورة في الحقيقة. وإذا نجح الديمقراطيون في الاستيلاء على مجلسي النواب والشيوخ فإن الوضع سيصبح غير قابل للتصديق بعد 2006."

من المفهوم أن مستشار الرئيس للأمن القومي كان يريد كسب انتخابات 2006 البرلمانية. وجعل الرئيس يجيب على أسئلة حول العراق بدا صارخ التضارب مع ذلك الهدف. كانت استراتيجية الإنكار هي المعتمدة.

رغم كل كلامه المشرق ونزوعه التفاؤلي، لم يكن بوش قد صارح الجمهور الأميركي بالحقيقة حول ما كانت حالة العراق قد آلت إليه.

كلمة عن المصادر

المعلومات الواردة في هذا الكتاب، كلها تقريباً، مأخوذة من سلسلة مقابلات فريق الرئيس بوش للأمن القومي، نواب أعضاء هذا الفريق وغيرهم من كبار المسؤولين واللاعبين المسؤولين عن الشؤون العسكرية، الدبلوماسية والاستخباراتية ذات العلاقة بحرب العراق في الإدارة. رسميون عاملون على مستويات مختلفة في البيت الأبيض، وزارتي الخارجية والدفاع، ووكالة الاستخبارات المركزية، ممن هم على اطلاع فيما يخص الاجتماعات، الوثائق والأحداث كانوا أيضاً مصادر مباشرة. وأكثرية هذه المقابلات ذات علاقة بمعنى أن المعلومات المتضمنة قابلة للاستخدام دون الإتيان على ذكر المصادر بالاسم في الكتاب.

عدد غير قليل من الرسميين السابقين والحاليين، مثل وزير الدفاع دونالد رامسفلد سجلوا كلامهم. الرئيس بوش ونائبه تشيني أحجما عن إجراء أي مقابلة لهذا الكتاب. أما المقابلات السابقة التي أخذت منها بعض المواد لهذا الكتاب فقد أشرت إليها.

علاوة، ثمة معلومات حساسة جاءت من سلسلة من الوثائق بما فيها المذكرات، المحاضر الرسمية، الملاحظات الشخصية، الرسائل، نقاط الحوار، خلاصات التقارير الموجزة، الرسائل الالكترونية، التواريخ والروزنامات.

أكثرية المصادر قوبلت مرات متعددة، من قبلي أو من قبل مساعدي بِلّ مورفي الابن. قابلت عدداً من المصادر مرات تجاوزت عدد أصابع اليد الواحدة. الكل تقريباً سمحوا لنا بتسجيل المقابلات لتوفير إمكانية رواية القصة على نحو أشمل وأدق، باللغة التي استخدموها بالذات.

حين يتم إرجاع أي أفكار، استنتاجات أو مشاعر إلى طرف معين في إحدى المقابلات، أكون قد حصلت عليها من ذلك الشخص على نحو مباشر، من سجل خطي، أو من زميل أخبره الشخص.

- المدخل -

المعلومات في هذا الفصل التمهيدي مأخوذة بأكثريتها من مقابلات ذات علاقة مع مصدرين مطلعين في المقام الأول.

- **أواخر كانون الأول 2000**: للإطلاع على نصوص تصف اجتماعات بوش مع كوتس ورمسفلد، نظر تحديداً مقال أريك شميت وايلين سيولينو بعنوان "لإدارة البنتاغون كان بوش يبحث عن مدير مخضرم مفتول العضلات، في النيويورك تايمز، 2001/1/1، ص: 1؛ انظر أيضاً توماس إي ريكس: "للدفاع، صورة تشيني في المرآة؛ سيرى البنتاغون سياسياً مخضرماً وصاحب نفوذ في رمسفلد، الواشنطن بوست، 2000/12/29، ص: أ/1؛ واريك شميت، "وزير الدفاع يوهن؛ شغل المنصب نفسه في ظل فورد، النيويورك تايمز، 2000/12/29، ص: 1.
- **كانت ثمة آلية أخرى**: انظر جورج اتش دبليوبوش: التطلع إلى الأمام: سيرة ذاتية (نيويورك: جلدي، 1987) ص: 157-159.
- "سوّب": حديث المؤلف مع الوزير رمسفلد في 2001/3/4. جرى تأكيده لاحقاً من قبل نائب الرئيس تشيني.

1

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع خمسة مصادر مطلعة

- **حول مايكل ليفي**: انظر أيضاً ديفد بي أوتاوي "اللوبي السعودي يتراجع؛ هزيمة صفقة السلاح تتناقض مع نجاح سابق" الواشنطن بوست، 1986/5/10، ص: أ/1.
- أجريت مقابلة مع الرئيس بوش يوم 2003/12/11 وسألته عن زيارة لأمير بندر في 1997 لأيستن:

س: هل تتذكر حين بدأت تفكر بخوض الانتخابات الرئاسية، حين كنت حاكم ولاية، وتحدثت مع الأمير بندر؟ ذهبت أنت، وجاء هو إلى تكساس، توقفت في طائرته.

ج : بلى.

س: دار بينكما نقاش. وقد بدا، بل سبق لوالدك أن قال إنه يعرف أشياء كثيرة في الشؤون الخارجية. وهو قد قام بنوع من الجولة حول العالم.

ج : هل بندر هو من أخبرك بهذا؟ ما الذي قاله. أنا لا أستطيع أن أتذكر.

س: إنها لحظة مدهشة. قال ثمة أناس لا يحبون المملكة العربية السعودية، لا يحبون أباك، قد لا يدعمونك. ولابد لك من أن تتصالح معهم. وأنت غضبت من ذلك.

ج : لعله صدام حسين. [ضحك [تابع.

س: لا، لا، ليس صحيحاً – أنت تعلم أن هناك أعداءً موجودين.

ج : نعم، بالتأكيد.

س: الناس الذين كانوا يكرهون أباك، كانوا يكرهون المملكة العربية السعودية، وهو يقول لك تصالح معهم. وأنت تقول "لا، لا أريد أن أفعل ذلك. ليس ذلك صحيحاً وأميناً" وقال لك إن الأمر يعني قطع أعناق في لعبة الكبار. إنه دموي.

ج: [يضحك] لا أتذكر ذلك. ولكنني أتذكر بندر.

- **سيرة الحملة الذاتية:** جورج دبليوبوش وكارن هيوز هجوم مستمر (نيويورك: وليم مورو، 1999).
- "سأدافع": تفريغ لخطاب حاكم الولاية جورج دبليو بوش في القلعة، 1999/9/23، مأخوذ من موقع www.georgewbush.com.

2

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع خمسة مصادر مطلعة.

- **بين آلهة النار كان محارب قديم آخر:** انظر أيضاً صعود آلهة النار (نيويورك: بنغوين، 2004).
- **لم يكن بوش يعاني:** مقابلة لمؤلف مع الرئيس جورج دبليوبوش، 2002/8/20.
- **هو العجوز:** جورج بوش وبرنت سكوكروفت، عالم جرى قلبه (نيويورك: كنوبف، 1998).

3

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ثمانية مصادر مطلعة، إضافة إلى عميد بحري متقاعد يدعى جي جي كوين، جرت مقابلته في 22 و3/23 و2006/5/3.

- **في الأولى:** يجري المؤلف سلسلة مقابلات مع الوزير رمسفلد عامي 1988 و1989.
- **يوم الخميس الواقع في 2001/3/15:** لقاء بندر مع بوش وتقويمه واردان في محاضر سعودية رسمية وقد أكدهما مصدر أمريكي.

● **كان رمسفلد يحاول:** نسخ لأربع مذكرات "سلسلة ربط"، وثائق وندف ثلج أخرى حصل عليها لمؤلف؛ المؤلف يجري مقابلة مع الوزير رمسفلد، 6 و2006/7/7.

4

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ستة مصادر مطلعة إضافة إلى العميد البحري المتقاعد كوين.

● **في 2001/4/25:** نص نشرة ايه ب سي الإخبارية، صباح الخير أمريكا، 2001/4/25.

5

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع سبعة مصادر مطلعة ووثائق حصل عليها المؤلف.

● **بعد اثني عشر يوماً:** نصوص وزارة الدفاع لخطب رمسفلد على الانترنت.

● **الشهادة أمام مجلس الشيوخ:** نصوص الاف دي سي اتش السياسية، جلسة استماع لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ، 2001/6/21.

● **في أيار/مايو، ولي العهد عبد الله:** رولا خلف، "إصلاحي حقيقي: ولي العهد عبد الله نائب الملك السعودي فهد حمل راية التغيير الدبلوماسي والاقتصادي، الفايننشال تايمز، 6/25/ 2001.

● **في 6/1:** لي هوكستيدر، "تفجير يقتل ما لا يقل عن 17 في أندية بتل أبيب؛ تفجير انتحاري يضرب حشداً من الشباب، الواشنطن بوست، 2006/6/2؛ ص: أ/1.

● **وحدات عسكرية إسرائيلية:** ديبورزونتاغ مع تصاعد غليان العواطف يزداد العنف العربي – الإسرائيلي سعاراً، نيويورك تايمز، 2001/5/20، ص: 4.

● **السنة السابقة:** لي هوكستيدر، "ترفع إسرائيل من وتيرة الاشتباك مع المتظاهرين؛ إطلاق النار يضاعف من أعداد القتلى؛ أولبرايت تلتقي باراك وعرفات" الواشنطن بوست، 10/3/ 2000، ص: أ/1، انظر الموقع الخاص على الانترنت.

● **في 6/16:** قام الرئيس بوش بوصف لقائه إنسينات في مقابلة تحت يوم 2002/8/20.

● **أول ذكر لبوش:** "تصدي براندنغ رايت لأخوية بيل" النيويورك تايمز، 1967/11/8، ص: 80.

6

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع سبعة مصادر مطلعة، وجملة وثائق حصل عليها المؤلف.

- **قبل اسبوعين:** انظر رتشارد كلارك، ضد جميع الأعداء: في الحرب الأمريكية على الإرهاب (نيويورك: فري برس، 2004)، ص: 235.
- **فيليب زليكوف:** فيليب زليكوف وكوندروليزا رايس، ألمانيا موحدة وأوربا متحولة: دراسة في فن الدولة (كامبرج، ماساتشوستس: هارفارد يونيفرسيتي برس، 1995).
- **"جلست هناك":** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2003/9/20.

7

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ستة مصادر مطلعة.

- **اتس آر ماكماستر، إهمال الواجب:** لندون جونسون، روبرت ماكنمارا، رؤساء الأركان المشتركة، والأكاذيب التي قادت إلى فيتنام (نيويورك: هاربر كولنز، 1997).

8

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع خمسة مصادر مطلعة، إضافة إلى الجنرال رتشارد ميرز في 2002/1/20.

- **سألت رمسفلد لاحقاً:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/7.
- **نحو اربعة أيام:** روان سكاربورو "أميرال يدعى مدير جبهة لرئاسة الأركان؛ قبل إن كلنتون أثار إعجاب بوش، الواشنطن تايمز، 2001/8/11، ص: أ/1.
- **في 2001/8/24:** وثائق رئاسية، 2001/8/24: على الانترنت.
- **كان رمسفلد قد قال:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/7.
- **فوجئ حقاً:** يرنون لويب، "اليدان المباركتان: لأحد الطيارين بالقرب من قمرة رؤساء الأركان" الواشنطن بوست، 2001/8/24، ص: أ/1.

9

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع عشرة مصادر ذات علاقة، ومع كرستوفر ديموث في 2006/3/10.

خلال الصيف: ديبورا زونتاغ: بحثاً عن سلام شرق أوسطي: كيف أخفق ولماذا، النيويورك تايمز، 2001/7/26، ص:1؛ انظر لي هوكستيدر، "انهيار وقف إطلاق النار في الشرق الأوسط؛ اشتباكات جديدة تختبر متانة الهدنة التي اجترحها باول" الواشنطن بوست، 2001/7/3، ص: أ/12.

- **يعد 9/11، شعبية بوش:** معهد غالوب "أعلى مستوى لشعبية بوش بتاريخ غالوب، 2001/9/24.
- **في 11/21:** مقابلة المؤلف مع الرئيس جورج دبليوبوش، 2003/12/10.
- **خط حرب العراق:** انظر بوب ودورد، القادة (نيويورك: سايمون آند تشستر، 1991)؛ وبوب ودورد، خطة الهجوم (نيويورك: سايمون آندتشستر، 2004).
- **في مذكرات فرانكس:** تومي فرانكس، جندي أمريكي (نيويورك: هاربر آند كولنز، 2004)، ص: 329–331 و342–344.
- **مذكرات باول وشوارتز كوبف:** الجنرال اتش نورمان شواتزكوبف، لا يتطلب الأمر بطلاً: السيرة الذاتية للجنرال اتش نورمان شوارتز كوبف (نيويورك: بانتام، 1992)؛ كولن باول، رحلتي الأمريكية (نيويورك: راندم هاوس، 1995)، ص: 487.
- **بلتشلي بارك:** سألت الوزير رمسفلد عن بلتشلي الثاني في مقابلة كانت يوم 2006/7/7:

س: بادر ولفوفيتز بعد 9/11 مباشرة إلى تأسيس هذا الشيء المعروف باسم بلتشلي الثاني. هل تتذكر ذلك؟

ج: نعم.

س: ماذا عن كُرِسّ ديموث في الايه إي آي؟

ج: طلبت منه. قلت "انظر نحن بحاجة إلى فريق يعكف على دراسة..".

س: كتبوا ورقة، سبع صفحات، بعنوان "إرهاب الدلتا".

ج: صحيح.

س: معنى أصل الإرهاب.

ج: أجـ..م. [موافقة].

س: قالت الورقة إننا في حرب لجيلين.

ج: أجـ..م.

س: مع الإسلام المتطرف. وعلينا أن نفعل شيئاً ومن الأفضل أن نبدأ بالعراق.

ج: بلى. يا إلهي، لم أتذكر ذلك.

س: بلى، إنه كذلك – كان للورقة تأثير بالغ في كل من الرئيس وتشيني ورايس، لأنها كانت قصيرة وتحدثت عن حرب جيلين، عن أن بلداناً أخرى هي المشكلات الفعلية ولكنك لا ستطيع معالجتها إلا أن من الأفضل لك أن تبدأ مع العراق.

ج: مثير، أنا لا أتذكر ذلك. أتذكر مطالبتهم بتشكيل فريق ودراسة الأمر، ومناقشته مع بول... كنت أفكر بشيء مختلف عما توصلوا إليه حين شاركت في إطلاق العملية.

س: التي كانت؟

ج: أشبه بيلتشلي.

س: مركز بحث أم...

ج: بلى، أن تنتهي بهيئة مستمرة من شأنها أن تجمع بعض العقول الممتاز على أساس من السرية العالية وتقديم المضمون الفكري لشيء كان جيداً ومختلفاً بوضوح، متحدياً. ذلك لم يحصل.

10

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ستة مصادر مطلعة.

- **السكرتير الصحفي آري فلايشر:** نصوص البيانات الصحفية الموجزة، على الانترنت.

11

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع عشرة مصادر مطلعة،ومع جنرال المارينز جيمس ال جونز في 2005/12/21. علاوة، تمكن مساعد المؤلف بِلّ مورفي الابن من الحصول اليومية الحربية لكل من الميجر جنرال جيمس (العنكبوت) ماركس والكولونيل ستيف روتكوف.

- **ولكن بدلاً من القول:** وثائق رئاسية، 2002/10/7. على الانترنت.
- **دون علم ماركس:** مقابلتا المؤلف مع الوزير رمسفلد، يومي 6و2006/7/7، ووثائق راجعها المؤلف. كذلك تضمنت قائمة رمسفلد للأشياء التي يمكن أن تنحرف: رقم: 19 "بدلاً من أن يتطلب جهد ما بعد صدام 2-4 سنوات، قد يتطلب 8-10 سنوات، بما يؤدي إلى استنزاف موارد الولايات المتحدة القيادية، العسكرية والمالية"؛ رقم: 25 "ستفاجئنا الولايات المتحدة باكتشاف عدد من المجاهيل المجهولة، الثغرات في معلوماتنا الاستخبارتية. مثل: من شأن برامج أسلحة الدمار الشامل أن تكون متقدمة عدداً من السنوات على تقديراتنا"؛ رقم: 26 "قدرات عراقية لم تخطرلنا على بال ربما كانت موجودة مثل أجهزة اليوايه في الحاصة بالتشويش"؛ ورقم 27 "قد يعيش العراق صراعات ملحمية بين السنة، الشعية والأكراد".

- **وافق الكونغرس بأكثرية ساحقة:** القرار رقم 114 القاضي بإجازة استخدام القوة العسكرية ضد العراق في 2002 على الانترنت.
- **بعد ثلاثة أسابيع:** "كيف وظفوا فتراتهم المتوسطة (والآن أمام الاختبارات الكبيرة)" تايم، 2002/11/18.
- **"كانت كل صباح":** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/6.
- **في البنتاغون:** مقابلتا المؤلف مع الوزير رمسفلد يومي 6و2006/7/7.
- **أكد الرئيس على مضض:** مقابلة المؤلف مع الرئيس جورج دبليوبوش، 2003/12/11.

12

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع سبعة مصادر مطلعة؛ مع اللفتنانت جنرال المتقاعد جي غارنر في 2005/9/19، 2005/10/16، 2005/12/13، و2006/4/22؛ ومع اللفتنانت جنرال المتقاعد جاريد بيتس في 12/14/ 2005. وثائق غارنر وملاحظاته وفرت تفاصيل إضافية.

- **لـلة السبت:** هانك ستوفر "درس أخلاق: دليل أعلام نادي ألفا ألفا؟ جيمي آروز يعرف"الواشنطن بوست،2003/1/27، ص: ج/1.
- **لاحقاً في مقابلة:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/6.

13

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ثلاثة عشر مصدراً مطلعاً، من مقابلات مع الجنرال غارنر، ومن وثائق راجعها المؤلف.

- **ضبط باول:** نصوص سياسية، خطاب باول في الأمم المتحدة، 2003/2/5.
- **ذكرت في 2006:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد،2006/7/6.
- **عودة إلى مكتبه:** مقابلة مساعد المؤلف مع الكولونيل المتقاعد توم بالتازار،2006/1/4.
- **قال رمسفلد لاحقاً:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/6.

14

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع أحد عشر مصدراً مطلعاً،من مقابلتين مع الجنرالين غارنر وبيتس، ومن وثائق تمكّن المؤلف من الحصول عليها.

- **اليوم التالي:** ملاحظات على مداخلة فايث أمام الرئيس راجعها المؤلف.
- **(رقصة زنجية):** كن آدلمان (رقصة زنجية في العراق) الواشنطن بوست، 2003/2/13؛ص: أ/27.
- **المتحدث باسم البيت الأبيض:** ديفد إي سانغر الولايات المتحدة تطالب العراق بالكشف عن مواقع الأسلحة، النيويورك تايمز، 2003/12/6، ص: ا.
- **فلايشر أعلن ثانية:** نص مؤتمر صحفي. على الانترنت.
- **في خطاب الإذاعي الأسبوعي:** وثائق رئاسية 2003/2/8، على الانترنت.

15

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع سبعة مصادر مطلعة، من مقابلات مع الجنرال غارنر ومن وثائق راجعها المؤلف.

- **يوم الثلاثاء 3/11:** نص حديث غارنر الصحفي، 2003/3/11، على الانترنت.
- **قبل ثلاثة أيام:** نص نشرة الان بي سي الاخبارية،هاك الصحافة، 2003/3/16.
- **بدأت الحرب:** للاطلاع على رواية أكثر تفصيلاً لضربة الحظ الموجهة إلى مزرعة الدورة وبداية الحرب العراقية، انظر بوب ودورد، خطة الهجوم (نيويورك، سايمون آن تشستر 2004) ص: 382-399.

16

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع سبعة مصادر مطلعة، مقابلات مع الجنرالين غارنر وبيتس، ومن وثائق رجعها المؤلف.

- **الاكس تي اف:** تفاصيل مآثر فريق عمل الاستغلال رقم 75 تم الحصول عليها عبر مقابلة أجراها مساعد المؤلف مع ضابط الصف الأول رتشارد (مونثي) غونز اليس يوم 2006/4/14، عبر مقابلات مع مصادر إخرى، ومن خلال وثائق نجح مساعد المؤلف في الحصول عليها.
- **(التقطته):** نص تعليقات الوزير رمسفلد موجود على موقع البنتاغون الالكتروني.
- **رَدَّ بوش صدى التعليق:** وثائق رئاسية 2003/4/13، على الانترنت.

17

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع تسعة مصادر مطلعة، من مقابلات مع الجنرال غارنر، ومن مقابلة مع وزير الخارجية الأسبق جورج شولتز بتاريخ 2006/6/18. تفاصيل إضافية جاءت من وثائق راجعها المؤلف.

- **ما يتذكره رمسفلد مختلف:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد 2006/7/6.
- **تتوايلر، 52:** بيتر سلفن العراقيون مستاؤون من رسائل أمريكية، تدخل أمريكيين بين تحديات لتلفزيون مان بعد صدام، الواشنطن بوست 2003/5/26، ص: أ/13.
- **رمسفلد ميالاً إلى الدفاع:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد 2006/7/6.

18

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع أحد عشر مصدراً مطلعاً، من مقابلات مع الجنرال غاربر والكولونيل بالتازار، ومن وثائق راجعها المؤلف.

- **وإن كان خارج الحلبة تقنياً:** وكالة الأنباء الاتحادية، إيجاز معهد المشروع الأمريكي، 4/22/2003.
- **تيميتاج يرد:** ادوارد والش وجوليين آيلبرين، متفجرة عادية ثم صمت غير عادي، غنغريتش مذعناً بعد الهجوم على وزارة الخارجية مثيراً حفيظة بعض المحافظين، الواشنطن بوست، 2003/4/2، ص: أ/4.
- **"لا أعتقد ذلك":** مونتي ريل، "غارنر يصل إلى العراق ليبدأ إعادة البناء، الجنرال المتقاعد متفائل رغم نزعة الشك، الخراب" الواشنطن بوست، 2003/4/22، ص: أ/1.
- **بعد ساعات قليلة:** وثائق رئاسية، 2003/4/24، على الانترنت.
- **كان بريمر مؤيداً قوياً:** ال بول بريمر الثالث سَنَتي في العراق: نضالي لبناء مستقبل مفعم بالأمل (نيويورك: سايمون آند تشستر، 2006)، ص: 6-7.
- **في كتابه:** يصف بريمر رؤيته لمذكرة المخابرات على الصفحتين 126و 127من سنتي في العراق.
- **رمسفلد طار إلى العراق:** فيرنون لويب (رمسفلد يزور عراق ما بعد الحرب) وزير الدفاع يتلقى القادة يبلغ القوات: (لقد أنقذتم أمة) الواشنطن بوست، 2003/5/1، ص: أ/1 مقابلتا المؤلف مع الوزير رمسفلد، 6و2006/7/7.
- **أنا أخذت:** مقابلتا المؤلف مع الوزير رمسفلد،6و2006/7/7.
- **صاقم الليتكولن:** كارن دي يونغ، (بوش يعلن الانتصار في العراق) العمل على الإرهاب مستمر يقول الرئيس الواشنطن بوست 2003/5/2، ص: أ/1.
- **إعطاء المعدل:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد 2006/7/6، وثائق رئاسية،2003/5/1، على الانترنت.

19

المعلومات في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع أربعة عشر مصدراً مطلعاً، من مقابلات مع الجنرال غارنر ومن وثائق حصل عليها المؤلف. علاوة، انظر بريمر سنتي في العراق.

- **كان لجري بريمر نحو اسبوعين فقط:** بريمر سنتي في العراق، ص: 9-10.
- **بعد الساعة الواحدة ظهراً:** وثائق رئاسية، 2003/5/6، على الانترنت.
- **قبل اربعة أيام:** بريمر، سنتي في العراق، ص: 11-12و39.
- أوامر سلطة التحالف الانتقالية مؤرشفة على الانترنت.
- **رمسفلد قال لاحقا:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد،2007/7/6.
- **أنا الحكومة العراقية:** بريمر سنتي في العراق، ص: 36.
- **اعترف بريمر بالتحديات:** بريمر سنتي في العراق، ص: 37.

20

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع سبعة مصادر مطلعة، من مقابلات مع الجنرال غارنر، ومن وثائق حصل عليها المؤلف.

- **في ذلك اليوم بالذات:** انظر ادموند وكونتشاس "لن ينسى الجندي يوم الذكرى" سان انطونيو اكبرس نيوز، 2004/4/21، ص: 1/ه.
- **"الاحتلال كلمة قبيحة":** سكوت ولسن، "بريمر يتبنى لهجة أكثر صرامة لوصف الاحتلال الأمريكي للعراق" الواشنطن بوست، 2003/5/26، ص: 1/13.
- **"عثر على أسلحة الدمار الشامل".** وثائق رئاسية 2003/5/29، على الانترنت.
- **غير معروف من قبل الرئيس:** انظر جو بي وإريك "غياب المخابر الحيوية" الشاحنات تسوع الحرب، أصرت الإدارة على وجود أسلحة محظورة رغم توفر الدليل على العكس، الواشنطن بوست، 2006/4/12، ص: 1/1.
- **بعد تعليقات بوش بيوم واحد:** نصوص أخبار وزارة الدفاع، 2003/5/30، على الانترنت.
- **طار بوش إلى قطر:** بريمر سنتي في العراق، ص: 71.

21

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ثلاثة مصادر مطلعة، من مقابلات مع الجنرال غارنر، ومن مقابلتين مع ديفد كي في 10/26/2004 و2006/2/28. ثمة وثائق نجح المؤلف في الحصول عليها وفَّرت تفاصيل إضافية.

- **يوم 2003/6/12:** والتر بنكوس،لم تكن وكالة الاستخبارات المركزية تتقاسم الشك حول البيانات العراقية، كان بوسعه استغلال قصة اليورانيوم، الواشنطن بوست، 2006/6/12، ص: أ/1.
- **بدا هذا مناقضاً:** وثائق رئاسية، 2003/1/28، على الانترنت.
- **بعد بضعة أسابيع:** جوزف سي ولسن، "ما لم أجده في أفريقيا" النيويورك تايمز،7/6/2003، ص:9
- **بعد ثمانية أيام:** روبرت نوفاك، "مهمة النايجر" شيكاغو صن تايمز، 2003/7/14، ص: 31.
- **في 2006 سألت رمسفلد:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/6.
- **بعد المناقشات:** نصوص اخبارية لدى وزارة الدفاع، 2003/6/18، على الانترنت.
- **بعد ذلك، رمسفلد وغارنر:** اجتماع غارنر مع بوش وصفه غارنر. التفاصيل أكدها رمسفلد ومصدر مطلع آخر. في مقابلة مع مساعد المؤلف بتاريخ 2006/6/29، إكد مالكولم ماكفرسون تفاصيل لقاء غارنر "دارث فيدر" في العراق.

22

المعومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ستة مصادر مطلعة ومن مقابلات مع ديفد كي.

- **يوم الأحد، 6/22:** باتريك إي تايلر "2000 متظاهر يطالبون بمراقبة إسلامية للانتخابات" لنيويورك تايمز، 2003/6/22، ص: 11.
- **رفض السيستاني:** بريمر، سنتي في العراق، ص: 165.
- **ظهر بوش:** وثائق رئاسية، 2003/7/2، على الانترنت.
- **في عراق صدام:** وصف التلفزيون العراقي وما كان يعرف بقناة الطبخ اللبنانية من مقابلة مساعد المؤلف مع مصدر مطلع.
- **مؤتمر البيت الأبيض الصحفي:** وثائق رئاسية، 2006/5/25، على الانترنت.
- **"بعد معرفة كل ما نعرفه الآن"** والتر بنكوس "البيت الأبيض يتراجع بشأن الشراء العراقي" لواشنطن بوست، 2003/7/8، ص: أ/1.

- **يوم الجمعة، 7/11:** والتر بنكوس ودانا ملبانك "بوش ورايس يحملان وكالة الاستخبارات المركزية مسؤلية الخطأ في العراق، تنت يتحملها في بيان توضيحي عن الأهداف النووية، في كانون الأول، الواشنطن بوست، 2003/7/12، ص: أ/1.
- **البيان الطويل:** على الانترنت.
- **صباح اليوم التالي:** و لتر بنكوس ودانا ملبانك "بوش ورايس يحملان.....". الواشنطن بوست 2003/7/12، ص: أ/1.
- **بعد احد عشر يوماً:** تصريح إعلامي من البيت الأبيض، على الانترنت.
- **في تموز/ يوليو2003:** راجيف تشاندرا سكاران "المجلس العراقي المعين يتولى دوراً محدوداً" الواشنطن بوست، 2003/7/14، ص: أ/1، راجيف تشاندرا سكاران " شريط يحي نجي حسين بوصفها ""شهيدين"" ، اعتقال احد حراس الرئيس الشخصيين، المجلس يختار 9 قادة" الواشنطن بوست، 2003/7/30، ص: إ/1.
- **كي ذهب إلى الكونغرس:** نصوص سياسية، السناتور جون وارنر وديفد كي في وسائل الإعلام، 2003/7/31.

23

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع تسعة مصادر مطلعة، من مقابلتين مع ديفد كي ومن مقابلة مع نيوت غنغريتش يوم 2004/12/12.

- **شعبية آل كامن:** آل كامن "بدأ العرض: التغييرات، الواشنطن بوست، 2003/7/9، بول وآرميتاج عازمان على "التخلي، الواشنطن بوست،2003/8/4، ص: أ/1.
- **في جلسة مختصرة:** وثائق رئاسية، 2003/8/22، على الانترنت.
- **طار:** وثائق رئاسية، 2003/8/22، على الانترنت.
- **أضاف في خطاب إذاعي:** وثائق رئاسية، 2003/8/23.
- **رغم ان لا احد:** وثائق راجعها المؤلف، تقرير مكتب محاسبة الحكومة، "إعادة بناء العراق: تحديات الإدارة، الأمن، إعادة العمار، والتحويل" غاو-06- 697ت، 2006/4/25.
- **حفل غداء صغير:** بريمر، سنتي في العراق، ص:156.
- **ديفد كي كان:** انظر دانر بريست، "إخراس رمسفلد حول مطاردة الأسلحة، الوزير يحاول التهرب من القصة خلال الرحلة" الواشنطن بوست، 2003/9/9، ص: أ/12.
- **لو كان ثمة:** نصوص لوزارة الدفاع، على الانترنت.

- **كان بريمر يصنع**: ال بول بريمر الثالث "طريق العراق إلى السيادة" الواشنطن بوست، 9/8/ 2003، ص: أ/21.
- **لناس لم يستطيعوا**: بريمر، سنتي في العراق، ص: 171.
- **يوم 9/24**: بريمر سنتي في العراق، ص: 174-176.

24

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع تسعة مصادر مطلعة، ومن مقابلات مع ديفد كي والجنرال بيس في 2006/7/20.

- **في مقابلتين**: مقابلتان للمؤلف مع الوزير رمسفلد يومي 6 و2006/7/7.
- **خلق مذكرة**: ديفد إي سانفر "البيت الأبيض ونقض بعثتي العراق وأفغانستان" النيويورك تايمز، 2003/10/6، ص: 1.
- **بريمر قرأ القصة**: بريمر، سنتي في العراق، ص: 186-187.
- **في مؤتمر صحفي**: نصوص عائدة لوزارة الدفاع، على الانترنت. انظر أيضاً مايك آلن "نقض العراق تجاوز رمسفلد" المذكرة السرية كانت الإنزار الأول، يقول وزير الدفاع، لواشنطن بوست، 2003/10/8، ص: أ/1.
- **فيما بعد قام بوش بدعوة بريمر**: انظر روبن رايت وغلن كسلر، "التقارب بين بوش وبريمر ينمو" الواشنطن بوست، 2003/11/23.
- **في 11/7، بريمر**: سنتي في العراق، ص:222-224.
- **ألقى بوش خطاب غداء**: وثائق رئاسية، 2003/11/11؛ على الانترنت.
- **لاحقاً رمسفلد**: مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد في 2006/7/6.

25

المعومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع اثني عشر مصدراً مطلعاً، من مقابلتين مع ديفدكي، ومن مقابلة مع نيوت غنغريتش في 12/10/ 2006. ثمة وثائق راجعها المؤلف وفُرّت تفاصيل إضافية.

- **كان ناجحاً**: الاجتماع وصفه بريمر في سنتي في العراق، ص: 226-227. انظر أيضاً راجيف شاندراسيكاران، "يقول العراقيون إن الأمريكيين سيسلمون السلطة مع حلول الصيف جتماعات المدن ستطلق العملية"، الواشنطن بوست، 2003/11/15، ص: أ/1؛ سوزان

ساخس، "الولايات المتحدة11/ 2003، ص:1. سنعيد السلطة إلى العراقيين في موعد لا يتعدى حزيران/يونيو، نيويورك تايمز، 2003/11/15، ص:1.

- في 2003/12/6: بريمر، سنتي في العراق، ص: 245.
- **أكد رمسفلد لاحقاً**: مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2003/7/6.
- **أجرى مقابلة**: جون باري وإيفان توماس، "منشق في الخندق"، النيوزويك، 003/12/15 / ص: 36.
- **ثم ذهب غنغريتش**: نص إخباري للان بي سي، مع الصحافة، يوم 2003/12/7.
- **من أجل رمسفلد**: مقابلة المؤلف مع الوزير، 2006/7/6.
- **يوم** 12/13: راجيف تشاندرا سيكاران "القوات الأمريكية تكتشف مكان الزعيم السابق سي مكان قريب من مسقط رأسه؛ الاعتقال قد يفضي إلى محاكمة بتهم جرائم ضد الإنسانة، الإبادة، الواشنطن بوست، 2003/12/15، ص: أ/1.
- **" أيتها السيدات أيها السادة"**: نص مؤتمر ال بول بريمر الاسوشييتر برس، 2003/12/14.
- **" حقاً، يتعين علينا"**: بريمر سنتي في العراق، ص: 260.
- **واستمر العنف**: وثائق راجعها المؤلف، تقرير مكتب محاسب الحكومة"إعادة بناء العرق: تحديات الإدارة، الأمن، إعادة الاعمار والتحويل، غاو- 60- 697ت، 2006/4/25.
- **يوم** 1/16: أخبار وزارة الدفاع على الانترنت.
- **خيبات رايس مع رمسفلد**: مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/7.
- **تقارير سرية مصنفة**: وثائق راجعها المؤلف، تقرير مكتب محاسبة الحكومة،"إعادة ماء العراق: تحديات الإدارة، الأمن، إعادة الاعمار والتحويل، مصدر سابق.
- **لم يلمح**: وثائق رئاسية، 2004/1/20
- **مراسلة في تلك الليلة**: تبسم زكريا من رويترز" كبير مطاردي الأسلحة الأمريكيين يستقل، يقال إن ديفد كي الذي قاد عملية البحث عن الأسلحة العراقية بات مقتنعاً بعدم وجود ترسانات. مفتش دولي سابق سيحل محله، الفيلا دلفيا انكوايرر2004/1/24، ص: أ/1.
- **أدلى كي بشهادته على الملأ**: نصوص سياسية، جلسة استماع لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ، 2004/1/28.
- **ذهب باول إلى الوشنطن بوست**: غلن كسلر،"باول يقول: ربما كانت البيانات الجديدة قد أثرت في قرار الحرب" الواشنطن بوست، 2004/2/3، ص: أ/1.

● **إذن تعين على باول أن يعود إلى الخلف**: تعليقات باول في وزارة الخارجية، 2004/2/3، ص: أ/1.

26

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع سبعة مصادر مطلعة، مع القاضي لورنس اتش سلبرمان يوم 2005/9/7، ومن وثائق حصل عليها المؤلف.

● **زعيمة الأقلية النيابية نانسي بيلوسي**: دانا بريست ودانا ملبانك، "ندوة مخابراتية ستلقي شبكة إلى ما بعد العراق" الواشنطن بوست، 2004/2/3، ص: أ/1.

● **"بطال الجوهرة"**: ديفد ام هالبفنغر، "حملة 2004: سناتور ماساتشوستس: غبهاردت يعلن تأكيده لكيري" النيويورك تايمز، 2004/2/6، ص: 19.

● **لم يكن الرئيس**: وثائق رئاسية، 2004/2/6، على الانترنت.

● **عضاء لجنة سلبرماذ روب كانوا**: القاضي لورنس اتش سلبرمان، رئيساً مشاركاً، تشارلز اس روب رئيساً مشاركاً، رتشارد سي ليفن، السناتور جون ماكين، هنري اس رون، والتر بي سلو كومبي، الأميرال المتقاعد وليم أو ستودمان، تشارلز ام فست، والقاضية باتريشيا والد

● **النائب هنري واكسمان**: مارك ماتيوز،" فريق متنوع لدارسة بيانات الحرب،التضليل بشأن لأسلحة المحظورة أفضى إلى القتال في العراق،"تصميم على كشف السبب"" البلتيمورصن، 2004/2/7، ص: 1/أ.

● **اسنتور هاري رايد**: اريك لختبلاو، "أموال الندوة ستبقى سرية" النيويورك تايمز، 2/15/ 200، ص: 1.

● **بريمر كان قد حزم**: بريمر، سنتي في العراق، ص: 288.

● **اهجمات تصاعدت من جديد**: وثائق رجعها المؤلف. تقرير مكتب محاسبة الحكومة،" إعادة ناء العراق: تحديات الإدارة، الأمن، إعادة الإعمار، والتحويل، مصدر سابق.

27

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ستة مصادر مطلعة.

- **يوم الأربعاء،** 2004/3/31: سيول تشان وكارل فيك" الولايات المتحدة تقسم بأنها ستعثر على قتلة المدنيين، قوات المارينز تتحرك لعزل الفلوجة، الجيش يعزز الدوريات في بغداد ويزودها، الواشنطن بوست، 2004/4/2، ص: أ/1.
- **"مازلنا نواجه أوغاداً":** وثائق رئاسية، 2004/3/31، على الانترنت.
- **بريمر قطع وعداً:** سيول تشان وكارل فيك،" الولايات المتحدة تقسم بأنها ستعثر على قتلة المدنيين، قوات المارنيز تتحرك لعزل الفلوجة، الجيش يعزز الدوريات في بغداد ويزيدها، الواشنطن بوست، 2004/4/2، ص: أ/1.
- **سانشيز صار فقيراً:** سيغ كرستنسون، "على التكساسي الجنوبي التزامات كثيرة، سبق لقادة قوات التحالف أن تغلب على صعوبات من قبل" سان أنطونيو اكبرس نيوز، 2003/6/23، ص: أ/1.
- **في 2006، اعترف رمسفلد:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/7.
- **عام بعد خطة الهجوم:** كنت في محاضرة عامة بمسرح مدينة لوس آنجلوس الكوتي، كاليفورنيا، 2005/4/11.

28

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من عشرة مصادر مطلعة، من مقابلة أجراها المؤلف مع القاضي سلبرمان، ومن وثائق تمكن المؤلف من الحصول عليها.

- **أواخر نيسان/ ابريل:** سي بي اس نيوز، ستون دقيقة 2، 2004/4/28.
- **سيمور هيرش:** سيمور ام هيرش" التعذيب في أبو غريب" النيويوركر، 2004/5/10، سيمور ام هيرش"سلسلة القيادة، كيف أساءت وزارة الدفاع التصرف مع الكارثة في أبو غريب" النيويوركر، 2004/5/17، سيمورام هيرش،"المنطقة الرمادية، كيف وصل أمر سري صدر عن البنتاغون إلى أبو غريب" النيويوركر، 2004/5/24.
- **قال رمسفلد على الملأ:** نصوص وزارة الدفاع، 2004/5/4، على الانترنت.
- **ميرز، ضيفاً:** نصوص ايه بي سي نيوز، هذا الاسبوع مع جورج ستيفانوبولوس، 2004/5/2.
- **"بوش يوبخ رمسفلد وراء الكواليس:** روبن رايت وبرادلي غراهام "بوش يوبخ رمسفلد، رسميون يقولون إن البنتاغون قاوم دعوات متكررة لإحداث تغيير في السجون" الواشنطن بوست، 2004/5/6، ص: أ/1.

- **اليوم التالي، 7أيار/ مايو:** نصوص سياسية، جلسة اجتماع لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب، 2004/5/7.
- **اليوم التالي:** اليزابث بوميلر" في الميزان: وظيفة رمسفلد" النيويورك تايمز، 2004/5/8، ص: 1.
- **قبيل الظهر:** وثائق رئاسية، 2004/5/10، على الانترنت.
- **"قدمتُ استقالتي":** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/6.
- **قال رمسفلد:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/7.
- **تعرض لكثير من الإهمال:** نصوص سياسية، جلسة استماع لجنة القوات المسلحة في المجلس، 2004/6/22.
- **نقل السيادة:** التناوب المبكر والحديث بين بوش وبلير وُصفا لمساعد المؤلف في مقابلة مع مصدر مطلع. انظر أيضاً بريمر، سنتي في العراق، ص: 388- 395

29

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع اثني عشر مصدراً مطلعاً، من مقابلة المؤلف مع القاضي سلبرمان، ومن مقابلة مع الجنرال بيس في 2003/8/25.

- **في 2004/7/15:** وثيقة حصل عليها المؤلف.
- **عدد 6/4 من الواشنطن بوست:** دانا بريست والتربنكوس"تنت يستقيل من منصب مدير وكالة لاستخبارات المركزية، بوش يطري رئيس جهاز الاستخبارات، إلا أن المنتقدين يتحدثون عن خطاء في حرب العراق، الواشنطن بوست ، 2004/6/4، ص: أ/1.
- **بعد احد عشر يوماً:** التقرير النهائي للجنة القومية عن الهجمات الإرهابية ضد الولايات لمتحدة (2004)
- **احد أكثر الأخطاء غير القابلة للغفران:** لم يقف الأمر عند العراق باخرة تابعة للبحرية لملكية كانت تساعد الولايات المتحد في مهمة لمحاربة عمليات تهريب المخدرات في الكاريبي لخفقت في تلقي الأوامر مباشرة وفي الوقت المناسب لأن قبطانها لم يكن قادراً على دخول شبكة السيرينت.
- **في آب/ اغسطس 2004:** انظر ايضاً جوس وايت وسكوت هايام،"الجيش يسمي الإساءات" تحرافات"، التقرير يتحدث عن سوء معاملة 94 موقوفاً في العراق وأفغانستان" الواشنطن

بوست، 2004/7/23، ص: أ/1، آمي آرغتسنغر،"اللغة العربية مهمة صعبة، زيادة الطلبة محاولة تلبية الحاجة" الواشنطن بوست، 2004/7/3، ص: ب/1.

- **كنت قد استكشفت:** مقابلتا المؤلف مع الرئيس جورج دبليو بوش، في 2001/12/20، و2002/8/20.
- **" أعرف أنه صعب":** بوش في الحرب، ص: 256-259.
- **على نحو استثنائي:** ديفد ماكلوخين، 1776 (نيويورك: سايمون آند تشستر، 2005)، ص: 110.
- **لكن الواقع:** وثائق راجعها المؤلف، تقرير مكتب محاسبة الحكومة،" إعادة بناء العراق: تحديات الإدارة، الأمن راجعها المؤلف؛ تقرير مكتب محاسبة الحكومة، "إعادة بناء العراق: تحديات الإدارة، الأمن، إعادة الإعمار، والتحويل"؛ مصدر سابق.

30

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع اثني عشر مصدراً مطلعاً، ومن مقابلات المؤلف مع ديفد كي.

- **أدلى ديفد كي بشهادته:** نصوص سياسية، جلسة استماع لجنة خاصة استخبارتية في مجلس الشيوخ، 2004/8/18.
- **في آب/اغسطس 2004:** وثائق راجعها المؤلف، تقرير مكتب محاسبة الحكومة، "إعادة بناء العراق: تحديات الإدارة، الأمن، إعادة الإعمار، والتحويل"؛ مصدر سابق.
- **في الأيام والأسابيع:** وثائق راجعها المؤلف، تقرير مكتب محاسبة الحكومة، "إعادة بناء العراق: تحديات الإدارة الأمن، إعادة الإعمار، والتحويل"؛ مصدر سباق.
- **في محافظة ديالة:** كارل فيك، "المتمردون يذبحون 49 متطوعاً عراقياً؛ موظف من وزارة الخارجية قُتِلَ في هجوم على قاعد عسكرية أمريكية" الواشنطن بوست، 25/ 2004/10، ص: أ/1.
- **"عندنا استراتيجية":** وثائق رئاسية، 2004/9/23؛ على الانترنت.

31

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع 15 مصدراً مطلعاً، من مقابلة مع السناتور جون اف كري يوم 2005/10/27، ومن ملاحظات حصل عليها المؤلف. هذا الفصل يستند أيضاً إلى تقارير إعلامية عن يوم الانتخاب، مثل مقالات الجرائد والمجلات ونصوص البرامج المذاعة عبر الان بي سي، الفوكس نيوز، السي بي اس، الايه بي سي وغيرها من الشبكات.

- **في 1:30 بعد منتصف الليل:** لويس رومانو وجو واغنر، "التعلق بأمل انتهاء رحلة طويلة" واشنطن بوست، 2004/12/3، ص: أ/22.
- **في 3:36 بعد منتصف الليل:** "لقد فهمت الموضوع" قال مايك ماكوري في مقابلة تمت يوم 8/11/ 2006، حين سئل عن رسالة الكترونية أرسلها إلى نيكول ديفنيش. "أستطيع تأكيد ذلك".
- **"نحن مقتنعون":** نصوص ربعية عائدة للكونغرس، 2004/11/3.

32

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع 12 مصدراً مطلعاً.

- **"لا نستطيع الانتظار":** وثائق رئاسية، 2002/10/7؛ على الانترنت.
- **في أوقات أخرى:** وثائق رئاسية، 2003/1/28؛ على الانترنت.
- **لأجلي، الأكثر مباشرة:** نصوص سياسة، 2004/9/7.

33

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع أحد عشر مصدراً مطلعاً.

- **في 2006:** مقابلة أجراها المؤلف مع الوزير رمسفلد يوم 2006/7/6.
- **لحد منتسبي الإدارة:** وثائق رئاسية، 2004/9/23؛ وعلى الانترنت.
- **كان رمسفلد قد أطلق الزعم:** نصوص عائدة لوزارة الدفاع؛ وعلى الانترنت.
- **"استمع،14":** وثائق رئاسية، 2005/1/7؛ وعلى الانترنت.
- **موصل، إحدى المدن:** كارل فيك، "بقع التوتر ترقط الخارطة العراقية؛ هجمات متفجرة بعيداً عن الفلوجة" الواشنطن بوست، 2004/11/15،ص: أ/1؛ كارل فيك وجاكي سبنر، "هجمات متمردين تنتشر في العراق؛ "قتال شرس" متوقع في الموصل قريباً، الواشنطن بوست، 16/ 2004/11، ص: أ/1.
- **المؤرخ آرثر شليزنغر الابن:** تحدث شليزنغر في مناسبة جوائز الكتاب المعروف باسم روبرت اف كندي بواشنطن العاصمة، يوم 2005/5/24.
- **"بأي ثمن":** نص خطاب قسم الرئيس جون اف كندي، 1961/1/20؛ على الانترنت.
- **ذلك كان النوع:** آل كامن "حذف كوكتيل ما بعد العشاء" الواشنطن بوست، 2005/2/23، ص: أ/17.
- **أقام بوش حفل استقبال في البيت الأبيض:** وثائق رئاسية، 2005/1/3؛ وعلى الانترنت.

34

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع سبعة مصادر مطلعة.

- **رايس، في 1/18:** نصوص ربعية عائدة للكونغرس، 2005/1/18، جلسة استماع في لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ.
- **بعد أسبوع:** تشارلز بابنتغون، "تثبيت رايس في زحمة النقد؛ الديمقراطيون يهاجمون سياسات حرب العراق قبل إقرار مجلس الشيوخ للتعيين، الواشنطن بوست، 2005/1/27، ص: أ/3.
- **"إنها الخطة":** خطاب القسم، وثائق رئاسية، 2005/1/20؛ وعلى الانترنت.
- **بالنسبة إلى عدد كبير من المحافظين:** بغي نونان، "بطريقة موغلة في الريانية، الوول ستريت جورنال، 2005/1/21؛ وعلى الانترنت.
- **أكده رمسفلد لاحقاً:** مقابلة أجراها المؤلف مع الوزير رمسفلد يوم 2006/7/6.
- **مع اقتراب التاريخ:** جيمس غلانز وتوم شانكر، "العنف ضد التصويت في العراق يزداد انتشاراً وحدَّة، كما تبين أحدث المسوح،" النيويورك تايمز، 2005/1/27، ص: 14.
- **يوم 1/26:** جوش وايت، "في هاواي، وقت للأسى مرة أخرى؛ السقوط في العراق أحدث النكسات بالنسبة إلى المدينة العسكرية، الواشنطن بوست، 2005/1/27، ص: أ/12.
- **في خطابه الإذاعي يوم الأحد:** وثائق رئاسية، 2005/1/29؛ وعلى الانترنت.
- **نحو 8 ملايين عراقي:** دكستر فلكنز، "يدلي العراقيون بأصواتهم في ظل أمن محكم وهجمات متفرقة، النيويورك تايمز، 2005/1/30، ص:1، و"متحدين التهديدات، ملايين العراقيين يتدفقون على صناديق الاقتراع، النيويورك تايمز، 2005/1/31، ص: 1؛ انطيني شديد، "العراقيون يتحدون التهديدات والملايين يدلون بأصواتهم؛ الأجواء احتفالية؛ المتارة تبدو قوية رغم الهجمات القاتلة، الواشنطن بوست، 2005/1/31، ص: أ/1.
- **ظن بوش أنها كانت:** وثائق رئاسية، 2005/1/30؛ وعلى الانترنت.
- **رغم الإثارة:** وثائق راجعها المؤلف؛ تقرير مكتب محاسبة الحكومة، "إعادة بناء العراق: تحديات الإدارة، الأمن، إعادة الإعمار، والتحويل" مصدر سابق.
- **"لو كنت -..".:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد يوم 2006/7/6.

35

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع عشرة مصادر مطلعة.

- **زليكوف**، 50: فيليب زليكوف وكوندوليزا رايس، ألمانيا موحدة وأوربا محوّلة: دراسة في فن الحكم (كامبرج: هارفارد يونيفرسيتي برس، 1995).
- **في مذكراته**: تومي فرانكس، جندي أمريكي (نيويورك: هاربر كولنز، 2004)، ص: 411.
- **كانت رايس نجمة الروك**: روبن غيفهان، "ملابس كوندوليزا رايس الآسرة، الواشنطن بوست" 2005/2/25، ص: ج/1.
- **علن بوش تعيين نغروبونتي**: وثائق رائسية، 2005/2/17؛ وعلى الانترنت.
- **دى الطالباني قسم الرئاسة**: إيلن نكمير وكاريل مورفي، "العراقيون يختارون كردياً رئيساً؛ الشيعة يتأهبون لتسمية رئيس الوزراء" الواشنطن بوست، 2005/4/7، ص: أ/1؛ إيلن نكمير "الطالباني يصدر عفواً عن متمردين: رئيس الجمهورية العراقي الجديد يمد يده إلى السنة، يسمي الجعفري لرئاسة الوزارة" الواشنطن بوست، 2005/4/8، ص: أ/22.

36

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ثمانية مصادر مطلعة.

- **"تغيير ان للحروب أثمانها"**: قالت رايس لأركانها إن الموقف كله ذكّرها بحلقة قديمة في مسلسل خيال علمي تلفزيوني قديم بعنوان ستار تْرَكْ. يقول الكابتن كيرك لأحد القادة الغرباء في الحلقة: "الموت، الدمار، المرض، الرعب – هو كل ما تعنيه الحرب. ذلك هو ما يجعلها واجبة التجنب". ستارترك "جرعة من الهرمجدون" مذاعة للمرة الأولى في 1967/2/23.
- **كان تشيني على شاشة السي ان ان**: نصوص عائدة للسي ان ان، لاري منغ مباشر، 5/30/ 2003.
- **"من يحكم بعد صدام؟"**: ان بي سي نيوز، مع الصحافة، 2002/7/7.
- **"مل حسبنا"**: ديفد اس برودر "عقيدة هاغلى" الواشنطن بوست، 2002/9/18، ص: أ/29.
- **"لا نستطيع ذلك وحدنا"**: محاضر الكونغرس، 2002/10/9؛ وعلى الانترنت.
- **"مرحلة انتقالية ما بعد صدامية، أولاً"**: محاضرة لاندن بجامعة ولاية كانساس، 2/20/ 2003.

- **غادر دون اقتناع:** كيفن وايتلو، إيلانا أوزرنوي، وترنس ساموبلي، "أصيب بنيران صديقة" يو اس نيوز آند وورلد ريبوت، 2005/6/27.
- **يوم 6/21:** تايلر مارشال وبوزو داراغاهي، "الصراع في العراق؛ 80 بلداً لاجتراح حلول من أجل العراق المضطرب، لوس آنجلوس تايمز، 2005/6/22، ص: 7.
- **يوم 2005/7/7:** غلن فرانكل، "المفجرون يضربون لندن ساعة الزحمة؛ مقتل ما لا يقل عن 37 في القطارات، وإحدى الحافلات، الواشنطن بوست، 2005/7/8، ص: أ/1.

37

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع تسعة مصادر مطلعة، ومن مقابلة مع الجنرال بيتر بيس يوم 2006/7/20، كما من مقابلة مع الجنرال جونز يوم 2006/7/27.

- **وزير الخارجية الأسبق هنري كيسنجر:** مناقشة المؤلف مع نائب الرئيس ديك تشيني، 14/7/2005.
- **"لا نستطيع ان نتخلى":** هنري كيسنجر، سنوات التجديد (نيويورك: سايمون آند تشئتر 1999)، ص: 1074-1076.
- **زاويته في البوست:** هنري كيسنجر "عِبَر من أجل إستراتيجية خروج" الواشنطن بوست، 2005/8/12.

38

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ستة مصادر مطلعة ومن مقابلة مع السناتور كارل ليفن يوم 2005/9/29.

- **زليكوف كان عاكفاً على القراءة:** لويس سورلي، حرب أفضل (نيويورك: هارفست، 2000)
- **فعلتْها رايس:** لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، 2005/10/19، نصوص معدة لوزارة الخارجية، على الانترنت.
- **برأي رمسفلد:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/6.

39

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع أحد عشر مصدراً مطلعاً، ومقابلة مع عضو الكونغرس جال مورثا يوم 2006/6/8.

- **هجمات معادية:** وثائق راجعها المؤلف، تقرير مكتب محاسبة الحكومة "إعادة بناء العراق، تحديات الإدارة، الأمن. إعادة الإعمار، والتحويل" مصدر سابق.
- **رمسفلد أكد لي:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/6.
- **الرسالة الأخرى، الأكبر:** وثائق رئاسية، 2005/11/11؛ على الانترنت.
- **يوم 11/16، ألقى تشيني خطاباً:** ربعية الكونغرس؛ نصوص سياسية، 2005/11/16.
- **ذلك اليوم:** تعليق "فك رموز إنكار السيد بوش" النيويورك تايمز، 2005/11/15، ص: 26؛ بيان البيت الأبيض "تصويت النيويورك تايمز تعليق على استخبارات ما قبل الحرب" 15/ 2005/11.
- **اليوم التالي:** أريك شميت "السحب السريع للجنود يطالب به ديمقراطي بارز" النيويورك تايمز" 2005/11/18، ص: 1؛ انظر أيضاً مكتبة الكونغرس على الانترنت.
- **لاحقاً في ذلك اليوم:** تصريح السكرتير الصحفي حول بيان عضو الكونغرس مورثا، 18/ 2005/11؛ على الانترنت.
- **خلال جزء كبير من العام:** وثائق رئاسية، 2005/2/4؛ على الانترنت.
- **في إحدى الخطب:** وثائق رئاسية، 2005/6/28؛ على الانترنت.
- **لعدد حقاً:** وثائق راجعها المؤلف.
- **"الإستراتيجية القومية للانتصار في العراق،** 2005/11/30؛ على الانترنت.
- **جزء من الخطة:** وثائق رئاسية، 2005/11/30؛ على الانترنت.
- **خطة بوش الحربية:** دوغ شْتَرَك "في بغداد الواقع يتضارب مع الخطاب؛ يبقى العنف وجبة يومية" الواشنطن بوست، 2005/12/1، ص: أ/21.
- **من أجل إطلاق رسالة:** جون اف بيرنز ودكستر فليكس "لمرة واحدة" الرئيس وجنرالاته يرون الحرب نفسها، النيويورك تايمز، 2005/12/1، ص: 22.
- **يوم 12/7:** وثائق رئاسية، 12/7/ 2005؛ على الانترنت.

40

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ستة مصادر مطلعة.

- **ألقى بوش خطابه السادس عن العراق:** وثائق رئاسية، 2005/12/12؛ على الانترنت.
- **في خطابه الرابع عن العراق:** وثائق رئاسية، 2005/12/14؛ على الانترنت.

- **في العراق:** دكستر فيكنز "العراقيون" بمن فيهم السنة، يصوتون بأعداد كبيرة في يوم هادئ" النيويورك تايمز، 2005/12/16.
- **ثمة كثير من البهجة":** وثائق رئاسية، 12/15/ 2005؛ على الانترنت.
- **بعد الاجتماع مع السفير العراقي:** وثائق رئاسية، 2005/12/16؛ على الانترنت.
- **ولكن العنف استمر:** وثائق راجعها المؤلف؛ تقرير مكتب محاسبة الحكومة، "إعادة بناء العراق: تحديات الإدارة، الأمن، إعادة الإعمار، والتحويل" مصدر سابق.
- **بعد ثلاثة أيام:** وثائق رئاسية، 2005/12/18؛ على الانترنت.
- **ولكن المد والجزر:** وثائق راجعها المؤلف؛ تقرير مكتب محاسبة الحكومة "إعادة بناء العراق: تحديات الإدارة، الأمن، إعادة الإعمار، والتحويل" مصدر سابق.
- **يوم راس السنة:** وثائق رئاسية، 2006/1/1؛ على الانترنت.
- **"لا يسعك إلا ....** : مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/7/7.

41

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع عشرة مصادر مطلعة، ومع عضو الكونغرس مورثا يوم 2005/6/8.

- **يوم** 2005/12/23: بيان صحفي صادر عن صندوق النقد الدولي، 2005/12/23؛ على الانترنت.
- **الجنرال تشيارلي:** الميجر جنرال بيتر دبليو تشيارلي والميجر باتريك ميكايليس، "كسب السلم: عمليات شاملة مطلوبة" ميليتاري ريفيو تموز/يوليو - آب/أغسطس 2005.
- **توماس إي ريكس،** هزيمة كاملة (نيويورك: بنغوين، 2006)، ص:318.
- **صباحاً:** ايلن نيكمير وكي آي إبراهيم "القصف يدمر جامعاً في العراق: الهجوم على مزار شيعي يطلق مظاهرات احتجاج، أحداث عنف، الواشنطن بوست، 2006/2/23، ص: A1؛ روبرت إي وورث، "تفجير مزار شيعي يطلق هياجاً مذهبياً في العراق، النيويورك تايمز، 2006/2/23، ص: 1.
- **الشهر السابق:** ايفان توماس "صدى الرصاص يتردد عبر العالم" نيوزويك 27م2م2006، ص:24؛ تايم 2006/2/27، عنوان الغلاف يقول: "متمسك بمدافعه".
- **بعد ظهر ذلك اليوم:** راشيل شتاير "معاون سابق لبوش متهم بالسرقة، سليت 2006/3/10؛ على الانترنت.

● يوم 3/16: ربعية الكونغرس، نصوص سياسية، جلسة استماع لجنة القوات المسلحة، 3/16/ 2006.

42

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع أحد عشر مصادراً مطلعاً.

● **ها كم إستراتيجيتنا"**: وثائق رئاسية، 2006/3/18؛ على الانترنت.

● **إذالم تكن هذه حرباً أهلية..".** مايكل ايه فلتشر، "ما زال بوش متفائلاً بشأن العراق؛ في الذكرى السنوية الثالثة للغزو، يتنبأ الرئيس بـ "انتصار" الواشنطن بوست، 2006/3/20، ص: أ/1؛ وثائق رئاسية: 2006/3/21.

● **وماذا عن ..".**: بول دي ايتون "مراجعة من فوق إلى تحت في البنتاغون، النيوريوك تايمز، 2006/3/19، ص: 12.

● **عد ظهر يوم الإثنين:** جنيفر ادواردز، "رئيس جهاز العاملين لدى بوش يجند شركة بتلر لحزب الجمهوري، سنسيناتي انكوايرر، 2006/3/28، ص: 2ب.

● **صباح اليوم التالي:** وثائق رئاسية، 2006/3/28؛ على الانترنت.

● **كان ثمة 58.249 اسماً:** من العاملين في الحديقة القومية بدءاً بـ 2006/8/1؛ على الانترنت.

● **تيني بلير داخلاً على الخط:** ماري جوردان "البريطانيون "ملوا من توني"؛ مغرمون سابقون يطالبون بلير بالرحيل، "لواشنطن بوست، 2005/4/16، ص: أ/1؛ كيفن سليفان، بلير يعدل لحكومة بعد خسارة الانتخابات؛ خروج وزير الخارجية في عملية التغيير، الواشنطن بوست 2006/5/4، ص: أ/11.

● **لا حقاً في إيجاز صحفي:** نصوص تعليقات رايس؛ على الانترنت.

● **لا يهم مدى السوء:** ديفد اس كلاود و اريك شميت "جنرالات متقاعدون آخرون يدعون رمسفلد إلى الاستقالة، النيويورك تايمز، 2005/4/14، ص:1.

● **يوم الثلاثاء 2006/4/18:** إيجاز وزارة الدفاع الصحفي، 2006/4/18؛ على الانترنت.

43

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع ستة مصادر مطلعة.

- **أخيراً تنحي الجعفري جانباً:** نلسن هيرنا نديز وكي آي إبراهيم "قادة الشيعة يسمون رئيس وزراء للعراق؛ كان المالكي معارضاً لحسين والغزو الذي قادته الولايات المتحدة، الواشنطن بوست، 2006/4/22، ص: أ/1.
- **رايس ورمسفلد:** نصوص مؤتمرات رايس ورمسفلد في العراق؛ على الانترنت.
- **كان يراقب:** بإدارة جون آلبرت وماتيو أونيل، بغداد إي آر، ص.ب محلين 2006.
- **بدعوة من الرئيس:** اليزابيت بوميلر "الجميع هذه المرة" بوش يمكّن الوزراء السابقين من الكلام، النيويورك تايمز، 2006/5/13، ص: 9.
- **المالكي تولى المنصب:** نلسن هيرناندين وعمر فكيكي "رئيس الوزرا" مع وزارته، يؤدي القسم؛ الجدل المذهبي حول المناصب الشاغرة يعطل الاحتفال، الواشنطن بوست، 2006/5/21، ص: أ/1.
- **في خطاب بشيكاغو:** وثائق رئاسية، 2006/5/22؛ على الانترنت.

44

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع أربعة مصادر مطلعة، ومن مقابلة مع الجنرال بيس يوم 2006/7/20.

- **اليوم التالي:** وثائق راجعها المؤلف.
- **في تموز/يوليو 2006:** مقابلة المؤلف مع الوزير رمسفلد، 2006/6/6.
- **يوم 5/26:** يمكن الحصول على النص الكامل للتقرير من موقع البنتاغون على الانترنت.

45

المعلومات الواردة في هذا الفصل مأخوذة في المقام الأول من مقابلات ذات علاقة مع خمسة مصادر مطلعة، ومن مقابلة مع الجنرال بيس يوم 2006/7/20.

- **تقارير سرية مصنفة:** وثائق راجعها المؤلف.
- **ولكن الرئيس بوش:** مقابلتا المؤلف مع الرئيس جورج دبليو بوش في 2001/12/20 و2002/8/20.
- **في 2006/7/11:** نص مؤتمر الوزير رمسفلد الصحفي في 2006/7/11؛ على الإنترنت.
- **بعد ثلاثة أيام:** بلاغ صحفي من القوات متعددة الجنسيات في العراق؛ على الانترنت.
- **في تموز/يوليو 2006:** مقابلتا المؤلف مع الوزير رمسفلد يومي 6و2006/7/7؛ وثيقة راجعها المؤلف.
- **يوم 2003/12/11:** مقابلة المؤلف مع الرئيس جورج دبليو بوش، 2003/12/11؛ انظر بوب ودورد، خطة الهجوم، ص: 422.

كلمات شكر

على نحو كلي يستند هذا الكتاب إلى التقارير الصحفية والمقابلات، غير أن عدداً كبيراً من المراسلين والكتاب الذين بادروا من قبل وكتبوا عن الحرب العراقية قد وفروا معلومات مهمة وكانت لهم إضافات ثمينة جداً إلى فهمي. أشكرهم جميعاً، ولاسيما أولئك الذين كانوا يكتبون من العراق. فهؤلاء الرجال والنساء تحملوا كثيراً من الصعوبات وخاطروا بحيواتهم لإبقاء سيل المعلومات متدفقاً باستمرار على باقي العالم. ما يزيد على 70 مراسلاً من **الواشنطن بوست**، وربما الآلاف من مؤسسات إعلامية أخرى، سطّروا رسائل وتقارير صحفية مكتوبة في العراق. فهؤلاء جميعاً، ومعهم كل العراقيين الذين ساعدوهم، يستحقون آيات الاحترام مع أعمق صيغ التقدير.

كانت صفوف مراسلي **البوست** شاملة، دون أن تقتصر إطلاقاً على، لكل من راجيف تشاندرا - سيكاران، انتوني شديد، جون وارد أندرسن، كارل فيك، جاكي سبنر، إيلن نيكمير، نلسن هيرنانديز، سكوت ولسن، آن سكوت تيسون، كارل مورفي، جوش وايت، فيرنون لويب، بارتون غلمان، بيتر سلفن، ودوغ شنرك.

مرة أخرى بادرت مؤمستا سايمون آند تشستر **والواشنطن بوست** إلى دعمي دعماً كاملاً لدى انشغالي في التحضير لهذا الكتاب وتأليفة، وهو كتابي الرابع عشر، ومرة أخرى كانت أليس ميهيو، وهي تعمل محررة في سايمون آند تشستر منذ 34 سنة، مرشدة ومستشارة متميزة بالمهارة والإخلاص، تساعدني في كل مرحلة من المراحل وتتأكد من إمساكنا بالخيط.

أما الفريق اللافت في سايمون أند تشستر المؤلف من كارولاين كي رايدي، الرئيسة، وديفد روزنتال، الناشر، فقد كان بالغ الروعة في هذا الكتاب - ملتزماً، دافعاً وعميق التفكير. إنهما يتعاملان مع مؤلفيهما كما لو كانوا أفراداً في العائلة، مبقيين على الحاجز، ولكن مع منح أقصى درجات الاهتمام والإخلاص. إنهما يتقنان فن نشر الكتب على نحو صحيح وبالسرعة التي تتيحها تكنولوجيا القرن العشرين.

شكراً لروجر لابرى، المحرر، على المساعدة في عدد كبير من المجالات - الكلمات، الصور، المواعيد والتنسيق الإجمالي. يبقى روجر أحد أبطال النشر المجهولين الذين

يبدون أشد الحرص في مجال تنفيذ كل الأمور في الوقت نفسه. أتقدم بالشكر أيضاً إلى جاك رومانوس، الرئيس والضابط التنفيذي الأول؛ إلى اليزاريفلن، كبيرة نواب الرئيس والمستشارة العامة؛ فكتوريا مير، مديرة الفي بي التنفيذية للإعلان؛ تريسي غست، مديرة الإعلان؛ جاكي سيو، المديرة الفنية ومصممة الأغلفة؛ آيرين خيراني، مديرة التحرير التنفيذي؛ أليسون موراي، معاون مدير التحرير؛ سيرنيا جونز، مساعدة محرر؛ ليندا دنغلز، مديرة التصميم؛ ليزا هيلي، كبيرة محرري الإنتاج التي تولت بمهارة إدارة أحد أدق البرامج الزمنية لنشر الكتب؛ جامي بوتوري الذي انشغل بإخراج الصور وتصميمها؛ نانسي انجليس، مديرة تحرير النسخ؛ لين أندرسون، المصححة، وكرس كاروت، واضع الفهرس.

ثمة شكر خاص لجون واهلر، مساعد مدير الإنتاج، على اهتمامه وخبرته فيما يخص جميع التفاصيل - الصغيرة، المتوسطة والكبيرة.

بل مورفي، كرستين بارثيمور وأنا مدينون بقدر كبير من الامتنان لمحرر النسخةالأولى فريد تشيز، الذي جاء مرة أخرى من تكساس ليلتحق بحاميتنا في واشنطن الشمالية الغربية. إنه كتابي الرابع مع فريد. صحبته عظيمة، يعرف العالم واللغة، ويقدم خبرة لانظير لها، حساً سليماً ونصحاً ناضجاً.

أما ليونارد داوني الابن، المحرر التنفيذي **للواشنطن بوست**، وفيل بَنَتْ المحرر الإداري **للواشنطن بوست**، فيوفران الأسس اللازمة لمشروعات كتب عميقة مستندة إلى الأخبار. يطلق لن على ذلك اسم "مراسلة المحاسبة" وقد تم الاضطلاع بهذه المحاولة من ذلك المنطلق. يبقى دون ركناً استقلالياً بل ويتحمل مرؤوسين يعلنون استقلالهم عنه. وبو جونز، ناشر **البوست**، صديق حقيقي للصحافة. يتمتع بل هاملتون، أحد مساعدي المحررين الإداريين بعين نفاذة فيما يخص كل ما هو جوهري وقد وظفها بمهارة لدى معاينة مقتطفات من هذا الكتاب لنشرها في **البوست**.

متأكد أنا من أنني استخدمت مواد حصلت عليها من مصادر أو معلومات انعكست في سجلات ومؤلفات ظهرت من قبل بطريقة أو أخرى. لم أمارس فن التنقيب عن الآثار للوقوف على صاحب الفضل الأول في إيراد حوادث أو قضايا معينة مختلفة، إلا أن الملاحظات الختامية تقدم سرداً محدداً للمواد المستعملة.

زملائي في **البوست** قدموا الكثير من المساعدة، ليس على صعيد تغطيتهم اليومية الممتازة وحسب بل ومن خلال القيام، على نحو غير رسمي، بتقديم المقترحات والآراء. ومن أولئك المراسلين والمحررين أذكر جيف لين، بيتر بيكر، توماس إي ريكس، والترينكوس، كارن دي يونغ، آل كامن، سوزان غلاسّر، ستيف لوكسنبرغ، روبرت كايسر، تشارلز بابنغتون، ديفدبرودر، ديفد إغناتيوس، إي جي ديوني، جيم فاده هاي، كارول دي ليوتنغ، دانا بريست، برادلي غراهام، غْلَنْ كسلر، يوجين روبنسون، ليزسبايد، مايكل آبر موغيتس، ديفد هوفمان، وجوبي واريّك. كانوا، جميعاً، كرماء ومرحبين بمهاجم وحيد في صفوفهم. ثمة خلفية بالغة الروعة من التفهم وفره العاملون في جهازي **الواشنطن بوست** الخارجي والداخلي.

أتقدم بشكر خاص إلى فريق التصوير الرائع في البوست المؤلف من جو البرت، فانيسا هيليان، أريكالوسك، مايكل دو تشيلي مع آخرين.

حصلت أيضاً على مساعدة لا تقدر بثمن من التقارير والتحليلات المنشورة في **النيويورك تايمز الوول ستريت جورنال، النيوزويك، التايم، اليواس نيوز آند وورلد ريبورت، اللوس آنجلوس تايمز، النيويوركر، الناشيونال جورنال**، نشرات الاسوشيتدبرس وعشرات وكالات الأنباء الأخرى.

أما الكتب التي وجدتها مفيدة جداً فتشمل **الهزيمة الساحقة (انفياسكو)** لتوماس إي ريكس، **سنتي في العراق** لال بول بريمر، **بوابة القتلة** لجورج باكر، **صعود آلهة النار** لجيمس مان. **ليس ثمة أي مجد حقيقي** لبنغ وست، **دور الأمم المتحدة في عملية بناء الأمم** لجيمس دوبنز وآخرين، **حرب رمسفلد** لروان سكاربورو، **وجندي أمريكي** للجنرال تومي فرانكس.

من جديد، قام وكيلي، محامي وصديقي روبرت بي بارنت بتوفير المشورة الراسخة التي تفوق حدود المهارات الحقوقية التي يضيفها على أي مهمة بقدر كبير من البراعة والاقتدار. تطلق عليه زوجه وابنته لقب محارب الوكوغان، لأنه نشأ وترعرع في تلك البلدة الايلينوية. بصرف النظر عن مسقط رأسه، من المؤكد أنه محارب حقيقي - من النوعية الخيّرة، في صفك مئة بالمئة دون إهمال الصورة الأكبر حاذياً حذو أستاذه ادوارد بنت وليمز. ولأنه يمثل ديمقراطيين مرموقين مثل الرئيس السابق بل كلنتون والساتور هيلاري روهام كلنتون وجمهوريين مرموقين مثل لين تشيني، فإنه لم يُستشر بشأن المضمون كما لم يطلع على الكتاب إلا بعد طباعته.

مرة أخرى أتوجه بالشكر إلى روز كريولو وجاكي كراو اللتين تضمنان بقاء الحياة عاقلة ومنظمة.

ابنتي الأكبر، تالي، أنفقتْ أربعة أيام على قراءة المخطوطة وأضفتْ نظرة ثاقبة وإحساساً مناسباً على المهمة، مذكِّرة إياي بأن عبارة "جي - 5" ذات العلاقة بهيئة رؤساء الأركان المشتركة ليست معروفة لدى الجميع. أما ابنتي ديانا ذات الأعوام العشرة فقد تسببت بالكثير من البهجة مع قدر كبير من الحب الحقيقي، وهذا أهم، في أثناء الكتابة والتأليف.

أعبر لزوجي وأفضل أصدقائي، إلزا والش، عن آيات حبي، امتناني وإعجابي. فإلزا تتحمل الكثير تحت وطأة الساعات الطويلة من المناقشات الخاصة التي تدور بيننا حول السياسة، الحروب والكتب. تسهم بسخاء في تطور القصة وتحريرها. تبقى إلزا الصخرة الراسخة التي نستند إليها جميعاً. لقد نجحت إلزا، وهي الحكيمة، المرحة والهادئة في مواجهة الضغوط، في حل أكثرية معضلات الحياة وتساعد أسرتها وأصدقاءها فيما نحن متعثرون بحيواتنا.